

روايات رومانسية عالمية

عبيد



نيرينا هيلارد

ما أقصر الوقت!



مَا أَقْصَرَ الْوَقْتُ!

قبضة القدر حاسمة تنهال على الانسان بقسوة او بحنان لا يوصف . وهذه قصة الممرضة مورغانا فاي كارول التي يشبه اسمها اسماً اسطوريا في حكاية الملك أرثر الشهيرة ، لكنها لم تكن تشبه المرأة القوية كما في الاسطورة ، بل تركها الانفصال عن خطيبها فيليب مذهولة فلطمتها سيارة ... ولما لم يبق لها في الحياة سوى ثلاثة أشهر قبلت الذهاب الى جزيرة خواماسا المشمسة مع مريضة صادفتها في المستشفى حيث تعمل ، هناك التقت ثلاثة اشخاص : سيد الجزيرة المركيز الغريب والطبيب الغامض الذي يخفي سرّاً وراء عمله في تلك الجزيرة ... وايضا خطيبها السابق ... فكيف تواجه قدرها مرة أخرى وهل تتغير مسيرة عمرها القصيرة

١ - فيليب وفاليب

يهطل الرذاذ الرمادي المزعج جاعلا المنظر وراء النافذة اكثر رطوبة وكآبة من العادة. وهو منظر لم يكن يوما مثيرا لأعجاب أحد، بأى حال. أشاحت نيستا بوجهها عن هذا المشهد الكئيب، واجتاحها الشوق الى سماء خواماسا الزرقاء الخالية من الغيوم، وقبابها، وأسوارها البيضاء المنتمية الى الفن المعماري البرتغالى، تلمع فى أشعة الشمس الذهبية. ذات يوم، لم تكن تميل الى تلك الابنية القديمة على الرغم من جمالها الصافى، وهى الآن موطنها، بينما باتت بريطانيا، حيث ولدت، غريبة نسبة اليها. وفى لهجة طيبة تدمرت فائلة:

« ياله من مناخ متقلب! »

التفتت اليها الممرضة الشابة التى كانت توضب شراشيف السرير مسجبة:

« يبدو انك ما عدت تعتبرين نفسك انكليزية بتانا يآنسة برونون. »

وانتصبت الممرضة، جينى مارسدين، واقفة، تسوى مريولها الابيض الناصع

وتضيف: « احيانا، انا نفسى احسك على جزيرتك المشمسة. »

وقبل ان يتسنى لنيستا الاجابة ظهر فى الباب ممرضة أخرى، قبعتها البيضاء المنشأة وبزتها الزرقاء الغامقة ومريولها الابيض، من شأنها ان توحي لمن يعرف مستشفى سانت كريستوفر انها ممرضة ذات رتبة مرموقة. لكن بالنسبة الى نيستا ليس هذا وحده ما لفت انتباهها. هناك شىء آخر أثارها، علما بأنه لاسبب لذلك من الوهلة الاولى، فلم تكن الفتاة بجمال السمراء الصغيرة جينى مارسدين - او لعلها كانت؟ ربما هناك شىء يتخطى الجمال بحد ذاته.

فملاح الفتاة الشاحبة شحوب ما بعد المرض، أضفت عليها سحرا فائنا، وهدباها الكثيان الناشتان، الطويلان، يلقيان نظرة ارتياب الى العالم، كأنهما يخفيان سرا لا يباح، وراء جبهتها الابيض الناعم. وفى نزوة غير متوقعة، تخيلتها نيستا فى ملابس فضفاضة من القرون الوسطى، كساحرة حميلة، بدلا من ملابس الموضة ذات الطابع الرسمي وبصوت رقيق لا يخلو من رنة باطنية

زادت في قلق نيستا بلا سبب واضح، قالت لجيني :
« عندما تنتهين تريدك رئيسة الممرضات في المكتب. »
« حسنا، اجابت جيني، تقريبا انتهيت. »

وانسحبت الممرضة ذات العينين البنيتين بانحناءة من رأسها وابتسامة شملت
المريضة وغابت في صمت كما جاءت. قالت نيستا مندهشة وهي ما زالت
تراقب المدخل لعلها تحظى بلمحة من الفتاة: « من تكون؟ »

قالت جيني بصوت خفيض: « انها الممرضة مورغانا كارول »
ونخيل الى نيستا أن جيني متحفظة في ردها، فانطلقت قائلة بشعور يصعب
تفسيره: « هناك شيء ما حولها... » وأضافت: « كأنها تبتسم في وجه الموت. »
قالت جيني: « الاتعرفين...؟ »

وتوقفت فجأة كأنها تبين ان ما ستقوله لن يروق لتلك الممرضة النحيلة
المديدة القامة. وبحركة آلية غادرت قائلة:

« ياألهي، يجب ان أسرع، رئيسة الممرضات تسخط اذا جعلتها تنتظر. »
بالت نيستا متجهمة الوجه بعدما وجدت نفسها وحيدة في الغرفة. حاولت
في حذر شديد تحريك ساقها المصابة تحت الغطاء. يالها من وقعة بعد غياب
١٥ سنة عن بريطانيا وفي زيارتها الاولى، اصابها التهاب في الرئة وأسقطها
الدوار عن السلم فكسرت ساقها قبل ان تدرك أهمية مرضها. التهاب الرئة
والكسر في الساق وضعها في حالة سيئة، لكن شعورا غريزيا أخبرها ان ما
يجول في رأس تلك الممرضة الصغيرة أخطر كثيرا من حالتها. وكأنما افكارها
استحضرت الفتاة فعادت الممرضة كارول الى الغرفة من دون ان يخطر لها ان
نيستا كانت تفكر فيها على هذا الشكل.

وقع نظر كارول على امرأة في حوال الخامسة والاربعين من عمرها، شيب
شعرها سابق لأوانه، ويبدو انها طويلة القامة رغم استقلالها في السرير. قالت
كارول بصوتها الناعم الجذاب: « صباح الخير آنسة بروتون ، انا مكلفة تمسيد
ساقك ، فأرجو ان تحتلمي ذلك. »

وابتسمت نيستا وقالت : « اتوقع أن أحتمل »
ومالت برأسها هاجسة وأردفت: « لا أظنني رأيتك قبل أن ألحقك منذ قليل؟ »
أشارت كارولين برأسها مجيبة : « لا أعتقد . لأنني كنت مريضة »
كان صوتها متساويا ، صحيحا فوق العادة ، وكانت نيستا متأكدة من وجود

شيء تحت هذا الغطاء الظاهر .

أضافت كارول : « رجعت للتو الى عملي . »

وهي تنزع الغطاء الذي وضعته رفيقتها منذ فترة وجيزة . لم ترفع نيستا نظرها عن رأس المريضة المنحني ، بينما راحت الاصابع الحازمة والرقيقة تدلك ساقيها المعطوبة . ترى ماذا يخفي هذا القناع الباهت من رباطة الجأش ؟

قالت نيستا : « اخبريني ايها المريضة ، كيف يمكنك ان تحافظي على هذا المندبل برصانة في مكانه ؟ »

ابتسمت كارول من دون أن توقف عملها وأجابت :

« انها الممارسة والخبرة القديمة . عندما كنت في طور التدريب كانت رئيسة الممرضات توبخني دائما بسبب قبعتي . والمندبل أسهل بكثير لكنه يمكن ان يؤدي الى مضايقات احيانا . »

فكرت نيستا انها كفؤة ومحايدة بشكل لطيف . لكن الان توجد طريقة للوصول الى ما تحت الغطاء ؟ ومن حيث لا تدري خطر لها ان تقول :

« احيانا افكر ما قد يقوله فاليب عن الممرضات هنا . »

« فاليب ؟ » قالت كارول من دون ان ترفع رأسها . وبالكاد سمعت الاسم . اذ كان عليها ان تركز بقوة على ما تقوم به لئلا تنزلق افكارها الى ما اطلعت عليه في مكتب مارتون ، رئيسة الممرضات - وهي لا تريد التفكير فيه ، حتى تخجن لحظة مواجهة الواقع .

« انه الماركيز فاليب مانويل رويث دي الفيروريالنا . »

لفظت نيستا كلمات الاسم باعتداد ذاتي واضح لأنها كانت تعلم انه اذا كان من شيء يمكن ان يكسر الجليد بينهما فهو هذا . وبالفعل حصلت على ما أرادت عندما رأت المريضة الشابة تنظر اليها مضطربة من خلال سيطرتها على هدوئها لتقول ببرود : « يا الهي ، من يملك اسما كهذا ؟ »

اجابت نيستا : « انه سيد خواماسا . »

وعيناها الزرقاوان تلتمعان . و اضافت : « فاليب لا يؤمن بعمل النساء

واستقلالهن . »

عادت كارول الى التدليك وعلى شفيتها شبح ابتسامة ساخرة وقالت : « انه

أحد اولئك العتاق الذين يفكرون بأن المطبخ والزواج مهنة المرأة الوحيدة . »

واسعت الابتسامة في عيني نيستا وهي تفكر بأن كارول من نصيرات تحرير

المرأة. ربما يكون موقفا مثيرا لو التقت كارول بسيد خواماسا الرائع.
عاد قناع الحزن ينتاب وجه الفتاة. وعرفت نيستا ان كارول تهجس من
جديد بالشىء الذى يعذبها فأكملت مصممة على تبديد تلك الكآبة ولو
لوقت قصير: « قليلون من الرجال ما زالوا يفكرون هكذا كما أظن. »
وأضافت: « لكنهم يخفون رغبة في الحماية والعطف »
اجابت كارول: « ربما كذلك. »

ولم يكن ذهنها كله مركزا على هذا الموضوع. ثم اضافت:
« ما هى جنسية سيد خواماسا هذا، بأسمه الطويل العريض؟ »
« برتغالى. »

أومأت كارول برأسها كأنما ذلك يفسر كل شىء، وانحنت من جديد على
عملها. انه واحد من اولئك اللوردات الاقطاعيين القدماء الذين مازالوا يعيشون
فى مناطق غير عصرية من العالم. وتساءلت جزافا حول موقع خواماسا، غير ان
تشتت افكارها اعادها الى الشىء الذى لا تريد التفكير فيه.
قالت نيستا وفى صوتها شىء من المداعبة: « انك لاتبددين اهتماما
بالموضوع » واطافت: « غريب - معظم الفتيات يعجبهن فاليب. »

اصطنعت كارول ابتسامة خافتة. فربما من زمان كان يهمها ان تعرف شيئا
حول نبيل برتغالى يملك جزيرة فى مكان او آخر، غالبا فى خط الاستواء
وتدعى خواماسا، لكنها الآن لا تستطيع ان تشعر بأى فضول. « فيليب » كان
الرجل الوحيد الذى شغل عقلها وعلى الرغم من التشابه فى الاسمين فلا
شىء يجمع بين فاليب وفيليب.

قالت كارول بابتسامة ونظرة خاطفة: « يمكنك الاستمرار فى الحديث عنه »
ثم اضافت: « ذلك يساعدك على صرف انتباهك عن الألم. »

وعن شىء ما يدور فى خلدها فكرت نيستا بشراسة بينها وبين نفسها. ثم
قالت بصوت مرتفع: « جاءت عائلته الى الجزيرة فى اوائل القرن السابع عشر
وبالطبع جلبوا معهم كل اتباعهم. واكتشفوا مدينة لورنزيو وشيدوا فيها قصر »
البالاسيو.

رفعت كارول حاجبيها قليلا. ففى النهاية، ورغم ما يجول فى خاطرها انه
شىء مثير هذا النبيل البرتغالى الذى يعيش فى مكان يدعى بالاسيو.
« اكملى »

قالت بضحكة خافتة وازدافت: « انت على حق - بدأت اهتم بالموضوع. »
أخفت نيستا ارتياحها واستطردت متفادية ان تكون لهجتها كدليل سياحي:
« البالاسيو بناء جميل ومخيف حسب اعتقادى. لكن فاليب ينسجم
والقصر تماما. »

اردفت كارول: « ربما لأنه هو أيضا مخيف؟ »
وافقتها نيستا قائلة:

« اعتقد ذلك. انه لا يملك معظم اراضى الجزيرة وحسب، بل لديه ممتلكات
فى البرتغال كلها وفى اماكن اخرى من العالم على ما اعتقد. »
ابتسمت كارول لنفسها، اذ بدأ الامر يبدو كحكايات الجن لكن فى الخرافة
يكون الامير شابا وجذابا والواقع لا بد انه فى خريف العمر، سمين، ولديه معدة
كبيرة وربما على وشك الصلع.

فى آخر هذه الادانة ابتسمت كارول لنفسها باستغراب وتساءلت: « لماذا
تشكلت تلك الصورة التى بقيت فى ذهنها برهة. وعندما انتهت من غرفة
نيستا خارجة الى الجناح، تناسته بسرعة.

وصل الخبر بصورة ما الى المرضى. لا احد يعرف كيف، مثل طول
الادغال التى لا يمكن تجاهلها. وكانت كارول منتبهة اليهم يراقبونها تسير فى
طول جناح المستشفى قبل ان تغادره فى نهاية يوم العمل. كانت تحس عيونهم
تطاردها ولم تكن شففتهم فى موضعها مع انها نابعة من تأييد داخلى لها،
مصدره الامهم بالذات.

« ايتها الممرضة! »

ترددت كارول عندما سمعت صوت امرأة تنادىها ثم التفتت نحوها،
واصدرت تنوراتها المنشاء خفيفها المعهود. وارتدى وجهها ابتسامة وظيفية براءة
لاتشبه ابدا ابتسامتها الفاتنة المعروفة. وتساءلت: « كيف حالك يا سيدة
روبنسون؟ ثم اذافت: « هل كل شىء على ما يرام؟ »

اجابت السيدة روبنسون: « انا على ما يرام. »

غير ان نبراتها الطفيفة أوحى ان شيئا آخر يهمها. وعرفت كارول ما هو.
لك من الصعب عليها ان تقطع الحديث وتكمل طريقها، ولو كان ذلك
ممكنا لفعلة. كان فضول السيدة روبنسون قائما الى حد لم تعد معه قادرة
على الا - مال، ذلك الصباح. مع ذلك لا يمكن تجاهلها. هى تحرق فيها

بعينين ثاقبتين كأنها تريد اختراق ذلك الجبين الأبيض لترى السر المحيى وراءه.

« هل صحيح...؟ »

غير ان السيدة روبنسون خانتها شجاعتها ولم تكمل. فأردفت كارول بالنبرة نفسها: « هل تعنين اننى سأموت فى ثلاثة أشهر؟ » وأضافت: « نعم صحيح وهناك منطقة ضغط فى دماغى لا يمكن ازلتها. » ثم ابتسمت بتهيب وهى تكمل دربها خلال الممر الطويل.

المطر مازال ينهمر رذاذا رماديا خارج زجاج المهجع الصغير حيث تنام كارول مع رفيقتها جينى. وبالرغم من جلوسها قرب الستارة المكشكشة التى تجعل الغرفة اكثر إلفة، لم تكن كارول تسمى شيئا عن هطول المطر فى الخارج. الى متى ستظل قادرة على اكمال العمل وسط اجواء الفضول والعطف؟ ليس الجميع مثل السيدة روبنسون. بل كان عطف معظم المرضى انها لا تريد الشفقة، لا تريد العيون تنصب عليها كلما جاءت الى الجناح، فعرف انهم يفكرون : ها هى الفتاة التى ستموت بعد ثلاثة أشهر. وتبين لها انها بدأت بالفعل تكره اولئك المرضى الذين يشبهون السيدة روبنسون لأنهم جعلوها تشعر بالغيرة وبضرورة الابتعاد عن العلم وهم يهمسون خفية او يثرثرون فيما بينهم. لم يكن بملء اختيارها هذا الضغط القاتل على الدماغ، بل بسبب غيابها، وما تزال لحظة معرفتها بالامر ماثلة امامها فى رهبة مرعبة. كان هناك صمت فى الغرفة، ليس صموتا ممضا او متوترا. انها وطأة الماضي. كل الكلمات قيلت وأسوأ ما فيها بات معروفا. يياض وجهها لم يتغير فى أى حال. كان خاليا من الانفعال، وعندما رددت كلمات الطبيب فاجأها هدوء صوتها: « لا أمل ابدا؟ » قال الطبيب: « ليتنى استطيع تقديم بعض الامل. ولكن... » كان صوته عميقا يحاول ان يكون جازما، لكنه انساني الى أبعد الحدود. وأضاف: « من القسوة ان أخبرك بهذا الشكل، لكن يكون الأمر اسوأ لو اخفيته عنك. فهكذا يمكنك ان تقررى ما يمكنك فعله.. بالوقت الباقى. »

واستدار نحو النافذة يحدق فيها، بينما وجدت كارول اهتماما عابرا فى التحديق بتجاعيد سترته البيضاء الناصعة، حتى التفت نحوها مرة ثانية قائلا: « حسب معرفتى، ان الجراحة اللازمة لم تحصل سوى مرة واحدة كتجربة وما صدق أحد انها ستجفع. »

« وهل نجحت ؟ »

« نعم .. ولا. فالعملية بحد ذاتها يبدو انها نجحت -- غير ان الفتاة ماتت بعد ساعات قليلة، ربما بسبب عدم قدرتها على الاحتمال. غير ان الجراح وضع اللوم على نفسه، اذ كانت المريضة شقيقته. وتوارى ... البعض يقول انه انتحر. » ثم اضاف: « كان الوحيد الذى يمكن ان يساعدك.. لكن احدا لا يعرف مكانه، ربما مات كما يظن كثيرون. »

« فهمت. وهذا ينهى كل شيء، اليس كذلك؟ »

مرة ثانية فوجئت بهدوء القبول فى صوتها، ثم تبدت المفاجأة. فالمرضى من هذا النوع يظهرون بمظهر الخيال عندما تواجههم الحقيقة التى لا بد منها، لم تكن هناك اسئلة حارة فى خلدتها، كما حدث لها عندما تلقت رسالة فيليب. حتى انها ضحكت. وتذكرت كلمة بكلة ما قالت.

« طريف »، لاحظت لنفسها بتعجب. « فكرت اننى عندما فقدت « فيليب

سأموت، لكننى الملمت نفسى ووجدت ان الحياة تسير رغم كل شيء. »

اما الآن فتبين لى انها لا تسير. فقدت « فيليب » وبعد ثلاثة أشهر سأموت. »

« وفيليب » سألها الطبيب. « هل تريدان تبليغه؟ »

« كلا، لا أعتقد. » وأضافت: « الامر لم يعد يعنيه. كنا مخطوبين وافترقنا. »

وعادت بها الذاكرة الى اليوم الذى تلقت فيه الرسالة الحاسمة. لم يكن قابلا للتصديق انه بدأ مثل كل يوم اربعاء. وجدت نفسها منبوذة. الرسالة تقول ذلك بكل وضوح وبدون اى ظرف. لم تكن اول فتاة يحصل لها هذا ولن تكون ابدا آخر واحدة، لكنه شيء خيل اليها انه يحصل دائما فى الكتب، او لفتاة يعرفها الواحد او يسمع عنها.

قبل وفاته قال لها والدها: « لا تفقدى الايمان بالحياة. »

وكان من الصعب ان تحافظ على ذلك الايمان لدى وصول الرسالة التى اخبرها انها لم تعد تنتمى الى فيليب، وانه يريد فتاة اخرى. وهى ترعرعت معه، احبته منذ الطفولة وعشقتة كامرأة. وجاءت الرسالة تأخذ الحب. ثم جاء الحادث يأخذ الحياة. عضت على شفتيها حين فكرت بكل ذلك، أما جينى التى كانت تكتب رسالة فالتفت نحوها وعلى جبينها علامات القلق، لتقول:

« هل انت بخير، يا كارول، أعنى... » ثم سكنت، مستغربة برغم انها

صديقتان منذ مجيئها الى مستشفى سانت كريستوفر. والتفتت كارول مبتسمة

وقالت مطمئنة رفيقتهما:

« انا بخير. » ثم اضافت: « لن أشعر بألم لبعض الوقت كما تعرفين. »

لن يكون هناك ألم حتى النهاية تقريبا. من دون انتباه عندما التفتت، حانت منها نظرة الى نفسها فى المرأة. ولم يكن هناك ماينبئ بالشئ الرهيب الذى سيحصل لها. لم تكن تريد الموت. أولا فيليب ثم هذا... الحب والحياة.

جرفتها افكارها الى يوم الحادث، يوم اعادت بالبريد الى فيليب خاتم الخطبة. وغادرت مكتب البريد زائفة لانرى حولها، غير متيقظة على غير عادتها. من بعيد سمعت أزيز كايخ سيارة. ثم لطمها شئ ما يعنف ووحشية. تبددت آلامها على التو. كل افكارها اختفت. كان ظلاما مريحا حيث لا شئ يزعجها لا شئ يحصل وبالتالي لا شئ يؤلم.

لكنه لم يستمر. بل كانت هناك ايام من الألم وثمة شئ ينزغ ذراعها حتى شفيت تماما - وعندئذ اخبروها الحقيقة كاملة.

اشتغلت كارول بجهد ونشاط في الايام المبررة المتعاقبة. فمضى اسبوع واسبوعان واذا بها مولجة بأمر نيستا وحدها. حتى بدأت تعرفها وتحبها. كذلك كبير اعجاب نيستا وحبها بسبب هذا القرب، لكنها لم تدع الفتاة تعرف شيئا عن خطتها المتنامية ببطء في ذهنها خلال ذلك الوقت. ولم يدر شئ في جلد كارول حتى ارسلت ماثرون رئيسة الممرضات تطلبها ذات يوم. للوهلة الاولى، عندما شاهدت الطبيب الذى اخبرها بمرضها فى المكتب رأت بصيص أمل يتعلق بشفاائها لكنه سرعان ما تبدد عندما تحدثت ماثرون. قالت بوضوح: « هل تخمين انيسة نيستا بروتون؟ » فوجئت كارول وقالت: « نعم، احبها كثيرا. »

فأضافت ماثرون: « هل تودين العودة معها اذن الى جواماسا؟ »

وكادت كارول ان تتكلم معربة عن دهشتها غير ان الرئيسة اوقفتها واستطردت: « لحظة، قبل ان تخيبي. اريد ان اوضح الاسباب كاملة. الانيسة بروتون كما تعرفين اخرجت سابقا من الجص ونخضع لعلاج من شأنه تنشيطها اكثر. ستكون بحاجة الى انتباه لكنها تفضل العودة الى جواماسا فى اقرب وقت ممكن - فهي معنادة المناخ الاستوائى وغير قادرة ان تتحسن هنا كما توقعتنا. نعتقد انه فى صالحها ان تعود. ويجب ان يكون معها شخص يوليها الاهتمام المطلوب، وهى سألت اذا كان بإمكان هذا الشخص ان يكون

انت. فى الاحوال العادية ما كنت لأنظر فى الأمر الا اذا تقدمت انت بطلب التسريح من الخدمة. ومع ذلك شعرت اخيرا انك لست سعيدة فى عملك. ولا أعنى ان عملك أصيب بأى علة، لكنك متوقفة كثيرا ويمكن ان تجدى الوضع أسهل فى مكان لا يعرف فيه أحد شيئا عن حادثك وعواقبه. »

لم تجد كارول ما تقوله وهى تتمتم: « انا... انا... »

فما كان يخطر لها ان ماثرون التى تبدو دائما قاسية المشاعر، طاغية بالنسبة الى رفيقاتها، يمكن ان تفهم كل هذا وفى هذه السهولة.

وتدخل الطبيب واقفا بسترته البيضاء ناظرا اليها من فوق: « اما بالنسبة الى الشئ الآخر... فهجت ان هناك مستشفى فى الجزيرة وسنرسل تفاصيل وضعك اليهم. »

قاطعت كارول متناسية لبرهة تقاليد المستشفى: « لكننى اعتقدت ان احدا لا يجب ان يعرف شيئا عنى هناك » وعبرت هذه المقاطعة بلا تعليق ثم اضاف الطبيب: « هناك طبيب سويسرى مسؤول عن المستشفى سأعطيك ظرفا يحوى على تقرير ونسخ عن صور الاشعة ومنطلب اليه الا يقضى بشئ. ستحتاجين الى بعض المساعدة فى النهاية يا عزيزتى. كما يمكن ان يقع لك شئ قبل ذلك، وسيهتمون بذلك ايضا. »

« ناقشى الامر مع الانسة بروتون قبل ان تقررى. » سمعت كارول صوت ماثرون تقول ذلك ولا تعرف كيف وجدت نفسها خارج الباب وفى طريقها الى غرفة نيستا التى كانت مستلقية على سريرها بادية الضعف، من آثار النزلة الصدرية وساقها المكسورة.

لدى دخولها الغرفة حيثها نيستا بصورتها الأجش وقالت: « يبدو ان ماثرون اخبرتك بالعرض. » اومأت كارول برأسها قائلة نعم. ولم تكن هذه الكلمة كافية فزاضت: « لماذا تريدان اصطحابى معك الى جواماسا؟ »

« لأسباب عديدة يا صغيرتى » ونخلت نيستا عن لهجتها الرسمية لتقول بصوت باهت بعيد. « أولا لأننى اريد تغيير المناخ، فقد تعودت الجو الاستوائى. واريد العودة الى جواماسا بأقرب وقت، فى المستشفى يقولون لى ان ساقى تحتاج مقدارا اكبر من العلاج. لذلك - وهنا السبب الثانى - على ان اصطحب معى ممرضة لشهرين على الاقل. نالنا انا أكن لك كل مودة وانت بالدالى فى حاجة للإبتعاد عن هذا المكان واتمنى ان تأتى معى. »

واضافت كارول مستغرقة في افكارها كأنها تتحدث نفسها بصوت مرتفع:
« لا حاجة بأحد ان يعرف. انت لا تحبين الشفقة، اليس كذلك؟. وان
يكون بإمكانك احتمال الامر هنا لمدة اطول مهما احببت عملك.»
وكأنها ترضخ للأمر وجدت مفاجأة في صوتها وهي تحجب:
« كلا، لن احتمل الامر لمدة اطول» واطافت: « لكن سيكون لدى القليل
افعله في جواماسا معك.»

« هناك ما يكفي. على ان اصطحب ممرضة في كل حال. وأحب ان تأتي
انت فما رأيك؟»

سكنت كارول لحظة. كانت تفكر في الشهور الثلاثة التي ستقضيها مع
اشخاص يعرفون بأمرها. الا اذا قبلت العرض. انها اقل من ثلاثة شهور في
الواقع. مع ذلك تبدو المدة طويلة بين أشخاص يراقبونهم مدى النهار. لم تكن
تريد ان يمضي الزمن الباقي هنا، في هذا الجو المريض الكئيب. لقد أخذ القدر
كل شيء منها تقريبا. لكنه رق قليلا في النهاية واعطاها امكانية زيارة جزيرة
ذات جمال رومنتيقي.

« جواماسا .»

وقررت مبتسمة للآنسة بروتون : « اذا كنت حقا تريدنين، سأكون سعيدة
بالذهاب.»

٢ - الغريب يظهر فجأة

كانت الطائرة الصغيرة في طريقها الى الهبوط في مدينة متوسطة، وان
كانت صغيرة بالمقارنة مع بقية الجزيرة. وعلى مسافة أميال عدة من المدينة،
كان بناء أبيض ضخم يلمع تحت أشعة الشمس، أحاطت به الحدائق المرتفعة،
ومالت الآنسة بروتون مشيرة نحو البناء، وقالت مؤكدة ظنون كارول:
« هذا هو قصر البلاسيو انه جميل حتى من الجو، أليس كذلك؟»
« انه كذلك، ومهيب ايضا.»

ولاح من ابتسامتها الاصيلية وهي تقول:

« هنا؟ في ولاية فاخرة، يعيش سيد الجزيرة.»

ورغم كلماتها المازحة، أحست نيستا في صوتها رنة تحد، جعلتها تفكر
بفضول بين الماركيز وكارول، والتي لم تعد تبدو مستحيلة. وعندما نزل جميع
الركاب، تحركت الآنسة بروتون متكئة بقوة على عصاها، ومستندة على
كارول، الى حيث كانت تقف سيارة كبيرة سوداء بجانب الطائرة تقريبا،
متحدية بذلك كل أنظمة المطارات. ورفعت كارول عينيها ونظرت الى نيستا
وسألت في روية: « هل هي للمركيز صاحب كل السلطة؟»

وعندما زهدت نيستا ظننها بايحاءة سريعة، اضافت:

« يبدو أنه يخرق كل الأنظمة بدون عقاب.»

أجابت نيستا : « إنه يملك الأرض والمطار.»

وسألت كارول : « الى أين ستذهب؟»

واستدارت نيستا اليها قائلة: « عندي فيلا في الأراضي المحيطة بالبلاسيو
كنت أعيش في فندق، ولكن فاليب قدم لي فيلا فراتشيسكا عندما خلت. اذ
أدرك أنني انوى الإقامة هنا على الدوام.»

وانطلق السائق بهما خلال شوارع المدينة بسرعة وكانت المدينة ذات طابع

مرح وجو كأجواء العيد، رغم أنه لم يكن موعد عيد، ودخلت السيارة طريقاً تراثياً مخادبة الأشجار العالية حيث حطت العصفير، وتركت هذا الطريق بعد فترة، واختارت آخر يشبه الأول كثيراً، وأشارت نيسا ناحية الطريق الآخر وقالت: «هذا يؤدي إلى البلاسيو».

وتساءلت الأشجار التي كانت على جانب الطريق ثلثين، وظهرت فيلاً بيضاء صغيرة، محاطة بحدائق صغيرة منتظمة. ووقفت امرأة على عتبة الباب ترأب تقدمهم. وحينما اقتربت السيارة من الوقوف بعدما مرت خلال البوابة الحديدية المفتوحة، انضم إلى المرأة رجل متقدم في السن، وتكلم معها لحظة، ثم تقدم الاثنان نحو السيارة، وحينما كانت نيسا تحاول الخروج منها بمساعدة كارول تساءلت المرأة بانفعال في البرتغالية، وطمأنتها نيسا لكن الزوجين ظلا يتهاوسان في قلق. وقالت كارول بعدما ألقت نظرة على وجه نيسا: «أعتقد أنه من الأفضل لك الذهاب مباشرة إلى السرير».

وساعدت كارول نيسا على خلع ملابسها، ثم نظرت إليها وهي ممددة فوق السرير في انھاك وقالت بحزم:

«سابقين في سريرك بدون إزعاج لفترة من الوقت».

ولكن طرقاً سمع على الباب، ونادت نيسا بالبرتغالية، ورد صوت نسائي من الخارج، وقالت نيسا حينما فتح الباب: «إنها تيريز وهي تهتم بي وزوجها يساعد في الحديقة، إضافة إلى أنه يقود السيارة لتوصيلي إلى المدينة، تيريز تعرف القليل من الانكليزية، ولذلك يمكنك التفاهم معها».

وابتسمت تيريز، وأضافت شيئاً بالبرتغالية. كذلك أشرقت تيريز، وخاطبت كارول بالانكليزية ركيكة قائلة: «لقد شفيت ساق السيوريته... هذا جميل».

واستدارت ناحية الباب يتبعها زوجها الذي ظهر لتوه حاملاً حقائب نيسا إلى الحجرة. وقالت وهي تنصرف: «سأذهب الآن لأعد شيئاً نأكله».

وابتسمت كارول وهي ترأب الباب الذي أغلق خلفهما وقالت وهي تلتفت ناحية نيسا: «إنهما زوجان لطيفين».

وأومات الأنسة بروتون. وقالت: «أعتقد أنك ستحبين البرتغاليين. يجب أن أرتب لك لقاءات مع بعضهم. ولم تضيف بقية ما كان في ذهنها. إن هذه الشهور الأخيرة يجب أن تكون زاخرة ومشقة قدر المستطاع. وقالت لها كارول بحزم: «الآن سترتاحين، وستسين كل شيء آخر».

وترددت كارول بين أن تذهب لتكتشف الحديقة والبيت، أو أن تفرغ حقائب نيسا. وما كادت تقرر أن الواجب يأتي في المقدمة، حتى سمعت وقع أقدام ثابتة على السلم الخارجي. وحينما استدارت لفت وجهها انعكس عليه الضوء وظهر خلال الباب المفتوح. وسمعت صوت رجل يقول شيئاً بالبرتغالية. وردت: «أسفة. لا أفهم البرتغالية...».

ولم تكن تستطيع أن ترى القادم الجديد بوضوح، ولكن ساورها الاحساس بطوله وباعتداده بنفسه. وقال بالانكليزية متمكنة، وبصوت لطيف ومهذب وإن أثارها فيه شيء ما: «هل أنت جديدة في الجزيرة ياسيورا؟».

«وصلت هذا الصباح فقط».

ثم بدلت تراه بوضوح أكثر. وأحست بصدمة عندما اكتشفت أنها لم تر أيداً من قبل رجلاً على مثل وسامته النادرة، رغم ما كانت عليه ملامحه الجدية. وسألته وهي تحس بشيء من التوتر: «هل جئت لتري الأنسة بروتون؟».

ربما يكون أحسن بعداوتها. فضافت عيناه الداكنتان اللامعتان وهو يقول: «معذرة ياآنسة، واضح أن الوقت غير مناسب».

وأحست كارول بشيء من الخجل في أعماقها، وتبينت أن تساؤلها كان جافاً دون داع، وقالت: «أخشى ياسيورا أن يكون الوقت غير مناسب بعض الشيء إذا كنت تريد رؤية الأنسة بروتون، أرهقتها الرحلة، وأعطيها مهدئاً، إنها الآن نائمة».

وتفحصتها العينان الداكنتان اللامعتان بشيء من الاستخفاف وأحست أنهما تدفقان في تفاصيل ردائها الأبيض، والغطاء الذي يحيط بوجهها، وبخفي الشعر البني المحمر المجعد، وقال: «هل يفهم أن الأنسة بروتون في رعايتك؟».

«هذا صحيح».

ورفعت بصرها نحوه، وارتسمت على ملامحها الابتسامة المقنعة التي كانت تتكلفها أحياناً في المستشفى سان كريستوفر عندما تتعامل مع آباء أو أقارب متعيين. لكنها هذه المرة كانت تخفي كراهية، رغم ما كان بصرها يراه من الجاذبية النابعة من فكية البارزين وانقه الارستقراطي المستقيم وشفتيه المرسومتين بآتقان. وذقنه الحازم الذي كان يحمل العناد الانكليزي. في حين كان الحاجبان الأسودان فوق العينين الداكنتين اللامعتين، والشعر الكثيف المائل إلى التمزج رغم تمشيطه إلى الخلف مستقيماً فوق جبهة باللون

البرونزي كل ذلك ينطبق بيرتغالية المميزة.

وقال باصرار على ألا يدع لها وقتا للاجابة :

« أنت انكليزية يا سنيورا ، ولكن أجل ، طبعاً ، فالحادث وقع في انكلترا ؟ »
أجاب كارول : « نعم حدث في لندن »

وأولاً هو ، ودس يده في جيب سترته البيضاء التي أبرزت جاذبيته الداكنة ،
وأخرج علبة سكاثر ذهبية لم يفتحها في الحال ، لكنه ظل واقفا يربت عليها
بأصابعه . وقال بلهجة حيادية زادتها تباعدا لكنها الانكليزية الغربية

« إننا لم نسمع أية تفاصيل عن الحادث هنا في خواماسا »
وأعطته كارول تفاصيل مختصرة وهي مائز لا شعوريا تراقب الأصابع
الرفيعة القوية التي تمسك علبة السكاثر الثمينة .

وفتح العلبة وقدم لها سيكارة ، لكن كارول هزت رأسها قائلة :

« شكراً ، لا أدخن مادمت أرثدي الرزي الرسمي »

وارتفع الحاجبان القانمان المستقيمان تعبيراً عن السخرة وسأل :

« هل مهنتك شديدة الجدية بالنسبة اليك ؟ »

وزمقته كارول بنظرة دهشة وقالت :

« بالطبع ، فالتمريض ليس مهنة يمكن أن تؤخذ باستهتار »

وفوجئت به يسأل : « وعندما يتم شفاء الأتمة بروتون ، ماذا ستفعلن ؟ »

وأجبت كارول بالغيظ من جديد ، بأي حق كان لغريب عنها تماماً أن
يوجه إليها بحرية مثل هذا السؤال ؟ وقالت وهي تقاوم ضيقها :

« عندما تشفى الأتمة بروتون سأعود الى مستشفى سان كريستوفر »

« ربما تغيرين رأيك وتبقين في خواماسا »

« هذا مستحيل »

« لا شيء مستحيلاً في خواماسا يا سنيورا ، ربما وجدت السبب للبقاء »

« بأية طريقة ؟ »

« سأترك السؤال بدون جواب ، ربما فيما بعد يمكنك الاجابة بنفسك »

واستبد الغيظ بكارول ، لقد بدا كما لو كان لا يملك في أنها ستبقى .

وجعلتها الطريقة المتعالية التي تجاهل بها احتمال عدم بقائها في خواماسا تزداد
كراهية له ، فلم يكن هو الذي يأمرها . وتخيلت لحظة سخرة في عينيه وهما
ترمفان ملايسها ، وقال : « أنت ولا شك محجة عن الاستمرار في المناقشة مع

شخص لم يقدم لك ، ولكن هذا ما يمكن تأجيله الى وقت آخر ، سأعود غدا »

وعادت السخرة الى صوته عندما استطرد قائلاً : « بعد إذنك طبعاً ! »

وأجبت كارول أنه ليس بالرجل الذي اعتاد أن يستأذن أحداً في تصرفاته ،
وأنه حتى في هذه المناسبة لم يعتبر الاستئذان ضرورياً حقاً . وقد ألغت سخرة
اللهجة أدب الكلمات . وأخفت ابتسامة المهنة التي اقمعتها الكراهية التي
اشتعلت في أعماقها وقالت :

« أنا متأكدة أن الأتمة بروتون ستمر بروتك . فمن تكون لأخبرها ؟ »

« فاليب دي ألفيرو رياتا »

لاحظ نظرة الدهشة لكنه لم يعلق واستطرد يقول :

« أعترف عن زيارتي غير المناسبة ، وداعاً يا سنيورا »

وبانحناء صغيرة لم تعد هزة من رأسه الداكن ، انسحب منصرفاً .. الماركيز

دي ألفيرو رياتا ! وظلت كارول في مكانها لا تتحرك لمدة دقيقتين ، بينما

كانت الأفكار تتصارع في رأسها ، أين الماركيز المتقدم في السن ، البدين ،

الذي تخيلته ؟ لاغربة في أن نيسا كانت تبسم أحياناً للملاحظات عن سيد

خواماسا . وعندما انطلقت السيارة بعيداً ، اختفت عن النظر ، استدارت مبتعدة

عن النافذة ، إذن كان ذلك هو فاليب دي ألفيرو رياتا . كان باهر الجاذبية

وسحر عجزته يلائم حتماً بعض النساء

وانجفت ناحية السلم وقد قررت أن تبدأ في افراغ الحقائب كما كانت

تزمع قبل وصول الماركيز . وبينما كانت منهكة في عملها ، حاولت أن

تبعده عن ذهنها وأن أحس في بعض اللحظات أن الكراهية تخر ذاكرتها .

وحينما إنتهت من مهمتها ذهبت الى حجرة ييسا وسألها :

« كيف حالك الآن ؟ »

« أحسن كثيراً ... ألم يحدث شيء أثناء فومي ؟ »

وابتسمت كارول من جديد ابتسامة مختلفة تماماً عن تلك التي منحتها

لفاليب دي ألفيرو رياتا ، ابتسامة أضاءت عينيها وأظهرت جمال فمها .

وأشرقت ملايحها بشقاوة لاذعة ، لم يكن هباء أنها سميت مورغانا فاي

كارول . وسألت : « أي نوع من الأشياء ؟ »

« مثلاً هل حدث بينك وبين تيريز أي تصارع لغوي ؟ »

« كلا ، ولكن رجل الجزيرة العظيم جاء ... »

« فاليب جاء ؟ »

وابتسمت نيسا رغم ما شعرت به من ضيق لضياح هذا اللقاء الأول منها ، وكانت في عيني كارول صورة عن الانطباع الذي تركه في نفسها والذي لم يكن طيبا على الإطلاق .

وسألت نيسا وهي تراقب باهتمام الطريقة التي سيطرت بها ممرضتها الشابة على عواطفها : « ما رأيك فيه ؟ »

« الماركيز ؟ أعتقد أنه لطيف »

« أريد رأيا صادقا وليس لبقا »

« حسنا ، إنني أكرهه بشدة وأعتقد أنه غير محتمل ومتعجرف ولايالي بغير إرادته »

وحاولت نيسا أن تعرض بهز كتفيتها لكن كارول أسرع تقول :

« طليت مني أن أكون صادقة »

« لابد أنكما تحدثتما لفترة طويلة حديثا ممتعا للغاية »

« لم يكن حديثا طويلا ولكن »

« أسفة لإحساسك بالكراهية نحوه ، وأنا أعترف بأنه مستبد بعض الشيء أحيانا ، لكنك إذا عرفت فستجدينه شخصا لطيفا للغاية »

وامتنعت كارول عن التعليق مقتنعة بأنه لا يمكن أن يتحسن في نظرها حتى بالمعرفة الوثيقة ، ولم يكن في نيتها أن تحاول صحبته ، لكنها في الوقت نفسه لم تكن من الغرور فتتصور أن ذلك يمكن أن يسبب له أي قلق إذ كان شديد الاعتماد بمكانته .

وقالت نيسا وهي تقرأ ما ارتسم على وجه الفتاة من التعابير :

« ألا تريدان التعرف به ؟ »

« كلا ، ولا أرى سببا يدفعه هو الآخر الى الرغبة في التعرف بي ، وذلك بحل المشكلة كلها . أستطيع أن أتخيل من رؤيته لي عن مدى نزع الطيقة الأرستقراطية البرتغالية »

« ربما ، ولكن فاليب يهتم بكل فرد في الجزيرة »

وفكرت كارول أنه ربما الاقطاعي الذي يحب أن يعرف كل شيء يدور داخل أملاكه .

وعادت نيسا تهز رأسها ضاحكة وقالت وفي صوتها رنة طرب :

« حسنا على الأقل يجب أن تعترفي أنه جذاب وليس بدينا على الإطلاق »

« أوه ... إنه جذاب بما فيه الكفاية »

وتلاحقت الأفكار من جديد في رأس كارول ، ربما كان غنيا وأيضاً ساحرا ، لكنها لم تكن تحبه ، ولم تكن تجد دافعا لتغيير رأيها ، وعلى أية حال كان هناك فيليب وهو يملأ خيالها رغم أنه لم يعد لها . ولاحظت نيسا الظلال التي عبرت وجه الفتاة وبجدية وهدوء سألتها : « ماذا بك ؟ »

ورمقتها كارول بنظرة طويلة ، ثم تجمدت تعابير وجهها ، وارتسمت عليه الابتسامة المؤدبة التي واجهت بها فاليب ، وقالت بصوت مصطنع :

« لاشيء ، مجرد صورة شخص يسير فوق قبري . »

« كان علي أن أدرك أن رجلا هو الذي تسبب في هذه الظلال المخافتة . »

وسكنت ، ثم عادت تقول بالصوت الهاديء نفسه الذي حرصت على ألا يوحى بالعطف لأدراكها أن كارول ستغفر من أقل لحة شفقة !

« لو كان الاقضاء يخف عنك ، فيمكنك أن تحدثيني بما في نفسك ، أصبحت أعرف الكثير عنك . »

وظلت كارول مترددة لحظة . ثم فجأة قررت الاقضاء ، وقالت :

« كنت مخطوبة ، ثم نكث خطيبى عهدي . »

« أما زالت الصدمة تؤلك ؟ »

« كثيرا في بعض الأحيان ، اعتدت أن أحبه منذ طفولتي ، وعندما كبرت كان الأمر يزداد حدة لا سهولة . »

« أى نوع من الرجال كان ؟ »

« أى نوع من الرجال ذلك الذي فاز بحب كارول ، وكان من الحماقة والغفلة ففقرط بمثل هذه الفتاة ؟ »

وابتسمت كارول غير راعية للنظرة الشاردة في عينيها ، وقالت :

« طويل ، أشقر الشعر ، ذو عيني زرقاوين نبدوان دائما مبتسمين ، كان اسمه فيليب دلايلاند . »

وحملت نيسا في محدثتها ، لكن نظرة الريبة التي استقرت على وجهها لحظة لم تثبت أن حلت مكانها نظرة كراهية شديدة ، ولم تلاحظ كارول ذلك في البداية ، إذ كانت عيناها حالمتين بعيدا . وعادت تقول بنعومة :

« كان يبدو دائما مبتسما . »

« ابتسامة جوفاء بلا معنى، إذن كنت مخطوبة » لفيليب لايلاند ؟

« هل تعرفينه ؟ »

« أعرف ، شاب مغرور ، من سن حظك أنك تخلصت منه . »

وهزت كارول رأسها ، وابتسمت قائلة :

« إنه ليس مغروراً يا آنسة يروتون ، أعرفه منذ سنوات . »

« إذن فلا بد أنه تغير كثيراً منذ عرفتته يا عزيزتي . »

وسكتت نيسا لحظة في شئ من التردد ، كانت تعرف أن ما لديها من قول يجب أن يعرف

« وربما كانت الصدمة أفضل وسيلة ، وبدأت تقول ببساطة :

« فيليب لايلاند ، أعتبره أكثر الرجال الذين قابلتهم غروراً ، وبكل تأكيد أكثر الرجال غروراً في خوانابا حالياً . »

« في خوانابا . » واتسعت عينا كارول تبحثان عن وجه نيسا ، وعادت تهتف : « فيليب ، هذا في خوانابا ؟ »

وبدأت تضحك من ذهول الصدمة ، لتسرى الرجفة في أعصابها وهي تقول معترضة في بأس :

« لا يمكن أن يكون هنا . »

« إنه موجود بالفعل ، وقد رأيت من الأفضل أن تعرفي بذلك ، فمن المؤكد أنك ستلتقيين به في مكان صغير كهذا . »

وضغطت كارول على شفطها ، وقد بدت في عيبتها التعاسة والإرباك في الوقت نفسه ، جاءت إلى خوانابا ، حيث لا يمكن أن يأتي لتكتشف أنه هنا . في انتظار أن يقوض أمنها

« إنه مزاح القدر القاسي ! وسألت . »

« أحضره فيليب لبعض الأعمال الهندسية ، فيليب مرة أخرى ! وغيرة غير منطقية ، حملته مسؤولية عذاب القلب الذي كان في إنشائها ، وكانت هذه نقطة أخرى تضعها ضده . »

وقالت نيسا بحماسة :

« في أية حال ، فهو لم يكن طرازك ، قد تتحققين من ذلك عندما تلتقيين به من جديد بعد المرحلة التي اقترقنا خلالها ، رغم أنني أعتقد أننا نرى ذلك الحين ، يجب أن نتفق على أننا

لا نتفق في هذه النقطة ، فعندما تفق فتاة برجل ليس من الطراز الذي يلائمها ، لا تراه أبداً على حقيقته . »

« وكيف تستطيعين الجزم بأنه مجرد إفتنان ! لا أعتقد أنك تعرفين فيليب كما أعرفه أنا جيداً ، لقد نشأنا معاً . »

« لا يحتاج معرفة شخص من طراز فيليب لايلاند إلى وقت طويل ، وعندى فكرة طيبة عن حقيقتك الخفية وراء مظهر الممرضة الذي تحبين أحياناً أن تتظاهري به . » وسكتت ، ثم أضافت بابتسامة شاحبة : « لا يمكنك أن تحبي شخصاً يريد أن يعتمد عليك ، وهذا الشاب من ذلك النوع بكل تأكيد . »

وددت كارول أن تقول أنه مهما كان فيليب ، فإنها لا تزال تحبه ، لكنها تنبذت إلى أن ذلك لا يخدم هدفاً ، ومثل موضوع فيليب دي ألفيرو رباتنا ، كان عليها - كما قالت الآنسة يروتون - أن تتفقا على أنها لا تتفقان ، أبداً على أنها ذات جمال ، في حين أنها كانت دائماً مبهورة بوسامة فيليب ، وكان من الصعب عليها أن تفتنع بأنه وجد فيها شيئاً جذبه ودفعه إلى طلب الزواج منها ، وأنه أحبها هي مورغانا فاي كارول .

ولكنه في الواقع لم يحبها ، كان مجرد افتتان من جانبها ، أو نزوة عابرة ، وإن كان حياً من جانبها ، والآن انتهى كل شيء ، والناس قد تعتقد أنها يمكن أن تنقع في الحب من جديد ، لكنها تشعر لجرد الفكرة . كان حبها لفيليب حقيقياً ، مثل النجوم في السماء .

ثم حدث شيء غريب بدا لها أنها ترى عيني فيليب دي ألفيرو رباتنا الداكنتين الساخنتين ، تستخفان بحبها ، وتنددان بها بطريقة المتعالية ، وأحسست بكل شيء فيها يتجمد ، ونظرت إلى صوره في ذهنها بازدياد وكراهية ، حتى تلاشت ، وعادت أمامها مرة أخرى صورة الرجل الذي كانت تحبه ، الرجل الذي كانت ستحبه دائماً .

ثم . تذكرت ، « دائماً » هذه ، لن تكون طويلة المدى !

٣ - مجرد امرأة تحب

نظرت كارول في أرجاء غرفتها باستحسان، فقد تنبّهت لأول مرة إلى ما يحيط بها. كان الأمس مرهقا، ثم كانت هناك الصدمة المريعة الحلوة لمعرفتها بوجود فيليب بالقرب منها. وانتهت ناحية السرير ذى الغطاء الينفنجي الزاهري الذي يحتضن في الليلة السابقة تعبها بنعومة اللذبة. كان كل ذلك مختلفا كثيرا عن غرفتها الصغيرة في مستشفى سان كريستوفر.

ثم فكرت في فيليب. وتلاشى في الحال سرورها بغرفتها الصغيرة، قالت لها نيسا أنه لا يستحق حتى التفكير فيه. ولم توافقها على ذلك، لكن كان من المحتم أن يتقابلا وكانت مسرورة لأنها أُنذرت، وبذلك كان من الأسهل ألا تدعه يدرك منزلته لديها. بل لقد حاولت أيضا أن تتخيل هذا اللقاء الأول... هل سيفاجأ برؤيتها؟ من المحتمل، لكنها لم تستطع أن تذهب إلى أبعد من ذلك. هل كانت الفتاة الأخرى في الجزيرة؟ الفتاة التي كانت السبب في كتابة فيليب ذلك الخطاب؟ ربما كانت برتغالية جميلة ذات عينيْن داكنتين. لكنه كتب الخطاب من إنجلترا، وقد يكون التقى بها في مكان ما خارج خواماسا قبل أن يحضر إلى الجزيرة. والآن يمكن أن تكون معه هنا. وربما أيضا يظن أنها اكتشفت مكان وجوده، وأنا لذلك تبعته إلى خواماسا.

ثم، لسبب ما، وكما حدث في الليلة السابقة، وجدت نفسها تفكر في فاليب ذي القيرو رياتا، ان مما يدعو إلى العجب أن تكون الكراهية دافعا لتكرار عودة صورة الشخص إلى ذهن شائها في ذلك شأن الحب.

ورأت من خلال النافذة السيارة السوداء المألوفة تقف وكانت نيسا ممددة فوق أريكة في الحديقة، مستندة على الوسائد تستمتع بأشعة شمس الصباح. ونحت كارول رأسها يستدير بانسامة ترحيب، ورغم إزادتها، وجدت نفسها تعجب بكبرياء الجسم الطويل النحيل، وتوازن الرأس الداكن ومرة أخرى كان يرندي بذلة بيضاء ناصعة أبرزت سواد شعره وسعرة جلده.

وبعد لحظة سمعت طرقا خفيفا على الباب ودخلت تيريز متفعلة وأحست كارول بالتأفف معاودها من جديد فكأنما القادم شخصية ملكية... فكرت في ذلك وهي تنصت إلى ما كانت تيريز تخبرها به عن رغبة نيسا في أن تلحق بهما. وكانت على وشك أن تتبع تيريز متبرمة إلى الباب، عندما اندلعت الفكرة في رأسها، فوقفت وفي عينيها يريق التصميم... وقالت:

« أخيري الأنسة بروتون أنتي سأنزل إليها بعد قليل. »

وعندما انغلق الباب خلف تيريز، انتهت كارول إلى خزانة الملابس، وأخرجت زي التمريض، إذ كان الثوب الأخضر الذي كانت ترتديه جميلا وأنيقا، لكنها خلعتة وارتدت زي التمريض... وهمت لنفسها في صوت ماكر أن فاليب لا يحب المرأة في زي رسمي.

ووقف الماركيز حينما اقتربت وقظنت إلى أنها لم تلمح الرعشة التهامية في عينيهِ الداكنتين عندما قامت نيسا بمعجزة التعرف. كما فظنت أيضا إلى أن نظرتة النافذة انقلبت إلى ثوبها. وأحست بفرحة مضاعفة لأنها أقدمت على تنفيذ ما فكرت فيه.

وقالت نيسا: « لقد عرض فاليب أن يعبرني كتبنا ، فإذا لم يكن لديك مانع يمكنك الذهاب معه وإحضارها لي »

وردت كارول بأدب رغم أن ذلك كان آخر ما تريد: « بالطبع لا مانع لدي » وقال فاليب بصوته الأجني اللطيف: « ربما نَجِدُ أيضا شيئا مسليا لك يا أنسة كارول ، إذا عدت معي إلى البلاسيو لأخذ كتب السينورا »

ردت كارول بالصوت المؤدب نفسه ، ولكن بدون أن يكون في نيتها القبول « شكرا يا سينور »

ولما لم يكن لها الخيار ، كان عليها أن تذهب لإحضار كتب الأنسة بروتون لكنها ما كانت أبدا لتقبل شيئا لنفسها ، ولا كان لها أن تنظر بفرح إلى أفرادها برفقة فاليب حتى لفترة قصيرة . واعتزمت أن تهرب في أسرع وقت ممكن . وسألها فاليب بأدب مترفع :

« ألا تفهمين البرتغالية على الإطلاق يا أنسة كارول ؟ »

ردت في شيء من الرضا : « كلا ، على الإطلاق يا سينور »

« خسارة كان ذلك ميغيدك ، يجب أن نعمل ترتيبا لإصلاح ذلك » وحيث بذلت كارول جهدا لتكبح جماح لسانها قبل الرد ذلك أنها

استشعرت من جديد سهولة اقتراضه بأن كل شخص لابد أن يخضع لما يأمر به سيد خواماسا . وردت بأدب : « شكرا لك يا سنيور ، لكنني أعتقد أن الأمر لا يستحق ذلك حقيقة . لأنني لن أبقي في الجزيرة طويلا »

« أمازلت مصرة على رأيك ؟ أه ... حسنا . الوقت قصير ... إنك هنا منذ يوم واحد فقط »

وأحسست من جديد أن أمر بقائها في خواماسا استقرار ، ومن جديد أيضا شعرت بالأسى لأنها تعجز عن أن تصارحه بأنه حتى لو كان هو سيد خواماسا فليست له سيطرة على حياتها أو محرركاتها . وقالت :

« أخشى ألا يكون لي الخيار في موضوع العودة إلى انكلترا يا سنيور »

وكانت تنظر إليه وهي تتكلم ، ونبتت من جديد مدى جاذبيته ، وإن أكدت لنفسها في الوقت نفسه أنها ليست الجاذبية التي تروق لها إذ كان داكنا للغاية وهذه جاذبية مقبضة بالمقارنة مع بياض فيليب وحسنة .

وقال : « قد تجددين القصر جذبا أيضا »

ونظر فاليب إلى نيستا باهتمام وقال : « ألا نستطيعين الاستغناء عن ممرضتك ذات الضمير الحي لفترة قصيرة من الوقت ؟ »

وقالت نيستا بدون تردد : « بالطبع أستطيع الاستغناء عنها »

وتمنت كارول مرة واحدة لو كانت نيستا مريضة مشاكسة كثيرة الطليبات ، تقصر على عودتها بسرعة ولاحظت مساءة أنه لم يكن هناك سؤال عما إذا كانت هي ترغب أو لا ترغب في رؤية القصر .

وأضافت آنسة بروتون بنظرة طرب :

« لا حاجة بك على الإطلاق إلى السرعة بالعودة »

ومرة أخرى أحسست كارول بانفعالاتها تؤلمها ولم تنتبه إلى أنها كانت شديدة العيوس حتى سمعت صوت نيستا الضاحك ثم بسرعة أزالَت العيوس عن وجهها وقالت معتذرة : « أخشى أن تكون أفكاري قد شردت »

وعندما جان أخيرا وقت توديع نيستا مؤقتا ، لتسير بجانبه إلى حيث كانت تقف السيارة السوداء الفخمة ، اكتشفت كارول أن نفورها ازداد ، ثم شغلت نفسها بتأمل المناظر حتى ساورها إحساس بالخجل ينهبها إلى أنها يجب على الأقل أن تشرع في التحدث معه . لكنها قاومت هذا الاحساس بزعم أنه هو أيضا ربما لا يضمنى التحدث معها ، وظلت صامتة حتى سمعته يقول بدون أن

يحول عينيه عن الطريق : « إنك لا تخبينني يا آنسة كارول وإني لأسألك هل ذلك لأنني لست انكليزيا ؟ »

« أعتقد أنك تتخيل أشياء يا سنيور »

« ربما »

وإذا كان صوتها خرج حذرا ، فصوته كان بدويرو متعاليا ، وعلى أي حال ما الفارق لدى المركز ذي القيرو وبالتالي ، إذا شعرت نحوه بالكراهية فتاة تافهة مثل كارول ؟ وسادهما الصمت لفترة ثم قطع هو هذا الصمت قائلا :

« مادامت إقامتك في خواماسا قصيرة يجب عمل ترتيبات لشاهدي المزيد من الجزيرة . وأحسست كارول بالغليظ إذ كان يتكلم كما لو كانت سائحة لليلة واحدة تتشوق إلى رؤية كل شيء في لحظة واحدة قصيرة . وعاد يقول :

« عندما يكون الوقت مناسباً سأخذك في جولة بالسيارة »

وأجابت بدون تية في القبول ، وإن لم تستطع أن تخفي تماما غيظها :

« شكرا لك يا سنيور »

« ولكنك لست مريحة تماما ... لماذا ؟ »

وعضت كارول شفتيها وقالت : « إنك تتخيل أشياء يا سنيور »

« مرة أخرى أتخيل أشياء ؟ اكتشفت أن لي حبالا خصباً يا آنسة كارول .

أتخيل أنك تكرهيني . وأتخيل أيضا أنك لا ترغبين في ركوب السيارة معي »

« ربما أكون لا أحب أن تفرض علي الترتيبات بمثل هذه الطريقة الاستبدادية »

« ولكن لماذا ؟ النساء يجب أن ترتب لهن الأمور »

« ربما نكون قياتكم البرتغاليات مختلفات ... ولكننا نحن الانكليزيات

نحب الاحتفاظ باستقلالنا »

« أه ... نعم ... الاستقلال الانكليزي المشهور ! إني أسألك يا آنسة كارول

إذا كنت وقعت في الحب على الإطلاق ؟ »

وكان النيكم في نظرة عينيه الداكنتين وفي صوته الملهذب وأحسست في الحال بذكري فيليب وكأنها طعنة سكين في قلبها ، لكنها حينما تكلمت كانت متمسكة ، قالت :

« ذات مرة ظننت أنني وقعت في الحب في أي حال انقضي ذلك الآن »

« إني أتعجب هل كان حيا حقا ؟ أتم الانكليز تواجهون المواطنين بفقر ،

ولا أعتقد أنكم عرفتم أبدا حقيقة الحب .
 « كثرة من الناس في انكلترا يتزوجون يا سيور ... هل ترى أنهم يفعلون
 ذلك بدون حب ؟ »
 « ليس الحب الذي يعرفه البرغاليون »
 « إنه يكفي في انكلترا »
 فقال وهو يتأمل بامعان القناع المعلق فوق وجهها كما لو كان يبحث عن
 الحقيقة خلفه : « قد لا يكفيك ذلك إذا أقمت سويدا في خوانابا »
 « ولكنني لن أبقى طويلا لذلك فإنني آمنة تماما »
 « آه طبعاً ... نسيت أن الوقت قصير للغاية »
 وكانت السيارة دخلت طريقا خاصا وعندما ظهرت البوابة المزخرفة تكهنت
 كارول بقرب الوصول إلى القصر نفسه . وفوق البوابة ارتفع قوس شرقي بشعار
 أسرة ربالثا ، وظاهر فجأة خادم يزي أحضر وفتح البوابة متحيا للسيور ومبشرا
 بطريقة تبين فيها كارول بشيء من الدهشة الفرح والحية . وكانت الحداثي
 المؤدية إلى القصر ذات جمال خارق . مليئة بالأزهار الاستوائية التي لم تكن
 تعرف أسماءها وكانت تلمع تحت أشعة الشمس بألوانها الزاهية . ومن خلال
 الطريق الذي كانت تحفه الأشجار بدأ القصر في الظهور تدريجيا . كان مظهره
 وحي بقصر مغربي . ووقفت السيارة أمام مدخل متخفّف يؤدي إلى فناء أمامي
 مرصوف . وحينما كان فاليب يساعدها على النزول من السيارة أحست أنها
 تنظر مثل طفلة مبهورة ، فقد كان كل شيء ضحكا وخارق الجمال .
 وصعدا السلم ووصلا إلى فيسفساء الفناء الأمامي وتجاوزاه فوق درجات
 السلم إلى المدخل الواسع ذي الأعمدة المسحوبة بشعار ربالثا . وفي الداخل
 كان نفس الانساع المفرط . وكانت الردهة باردة والأرض الرخامية والأعمدة
 الشامخة تضفي على المكان أجواء شرقية . كان من السهل رؤية عظمة هذا
 البناء وجماله كخلفية لذلك الرجل المترفع الذي ولد هنا ، وورث اسما قديما
 واثرة كبيرة وفري بأكملها تحت سيطرته وهذه الأفكار عادت تغمّ كارول .
 فلم يكن من الصواب أن يجتمع لرجل كل هذه القوى . وهو لم يكن
 سوى كائن حي عادي ، مثل أي شخص آخر . ولم تعرف أنه كان يلاحظها
 عن قرب إلا عندما سمعته يتكلم . وكانت في صوته رنة طرب وهو يسأل :
 « إنك لا تحبين القصر يا سيورا »

« إنه جميل جدا ولكن يوحى بالقوة الزائدة بعض الشيء »
 « ذلك شيء مستعدين عليه »
 وأحست كارول أنها لن تستطيع أبدا أن تألف مثل هذا المكان ، وتساءلت
 عن سبب قوله بأنها تستطيع ذلك . كان من المشكوك فيه أنها ستتردد مرات
 أخرى على القصر ، على الأقل إن استطاعت ذلك ، إذ كانت تنوي أن
 تتجنب فاليب دي ألفيرو ربالثا ما استطاعت إلى ذلك سبيلا .
 وأجلسها على مقعد رائع ثم اتجه ناحية المقصف الصغير الملاصق للجدار
 وقال : « سنناول أولا مشروبا باردا ، ثم أخذك إلى المكتبة لانتقاء الكتب »
 وسكب سائلا عبريا يراقا في كوب من الكريستال وقدمه لها قائلا :
 « إنه خفيف سيجدينه أقل قليلا من الليموناضة الانكليزية المشهورة »
 وكانت كأمره تخون مشروبا مختلف اللون واستطرد يقول وقد عاد الرنين
 المتكهم إلى صوته : « لا حاجة بك إلى الشكوك وأنت تشربينه مرتدية زيك
 الرسمي إنه غير ضار »
 ولم ترد كارول وهي ترشف قليلا من المشروب بحذر في استحسان ليرودته
 ولكنها لم تكن متأكدة تماما من تصريحه بأن تأثيره لا يزيد كثيرا عن تأثير
 الليموناضة . وجلس قبالتها ، ومرة أخرى أحست بمدى جاذبيته النادرة
 وتساءلت إذا كان هو مدرّكها وفاجأها قائلا :
 « لك القدرة على الصمت يا آنسة كارول »
 واستدارت كارول ناحية بابضامة خفيفة وقالت :
 « أعاني من عادة سيئة وهي الاستغراق في أحلام اليقظة »
 وتمتت ألا يسألها ما كانت تدور حول أحلام يقظتها . كان من المتوقع
 بالطبع أن يفعل ذلك إذ كان يبدو أنه يعتبر الأسئلة الشخصية حقه الطبيعي .
 ربما جزء من كونه سيد خوانابا ، ولكنها لم تكن في تلك اللحظة قد تبينت
 أن كراهيتها خفت قليلا . وعاد يسأل :
 « حول أي شيء تدور أحلام اليقظة لدى الفتيات الانكليزيات ؟ »
 « حول أشياء عديدة ومختلفة »
 « حول قصص الحب ؟ أم أن هذا شيء لا تسمح الفتاة الانكليزية لنفسها
 بأن تخلم به ؟ »
 « أعتقد أن الانكليزيات خياليات شأن الأخريات ، كنت في وقت ما أحلم

بالأمير الجذاب الذي سيأتيني غدا صبره جواد أبيض ، هذا طبعاً كان منذ سنوات مضت ؟

« ثم نضجت ؟ »

ورمته بنظرة ازدراء وقالت :

« بالفعل يا سنوبر ، ولكن ذلك لا يعني أنه لا يوجد قصص حب في العالم ، حتى في انكلترا ، وإن لم يعد الفارس يصل فوق جواد أبيض »

ومع ذلك ورعنا عنها مروت سحابة على وجهها إذ انتهى الحب بالنسبة إليها بلا رجعة . حتى أيام العمر أصبحت معدودة والوقت أصبح قصيرا ، ومن جديد إنبرى مسائل :

« لكن ألا توجد قصة حب في حياتك ؟ ألم تعودني مقتنعة بذلك ؟ »

« افتمنت الى حد الخطوبة »

« وبعد ذلك ؟ »

« قررت أنا وقبلت أنا لسنا متلائمين وتم ذلك بالانفراق المتبادل »

وسمحت لنفسها بتزوير الحقائق متعجبة في الوقت نفسه مع تزايد غيظها ، أنه استطاع أن يجعلها تتكلم في حرية مع شخص غريب ومتعجبة أكثر كيف تمكنت أن تتظاهر بأن الأمر لم يعد يؤلمها وقال :

« اسمه فيليب ... ربما لهذا السبب تكرهتي كثيرا »

« اسمكما ليس متماثلين حقيقة . ثم أنه لا يوجد شبه بينكما فيليب أشقر جدا »

« وانكليزي للغاية ؟ »

« فعلا هو انكليزي جدا »

وراقبها وهي تعيد كأسها الى المائدة ثم قال : « برغم هذه الخطبة التي فسخت لا أعتقد أنك كنت في حالة حب ، إن لك مظهر الفتاة التي لم تلمس »

ولاحظ الدماء المتدفقة الى وجنتيها وابتسم قائلاً :

« وجهك يحترق ؟ لماذا ؟ إني أعجب ! »

« لم أعود مناقشة مثل هذا الموضوع »

واصطنعت ابتسامة فاليب بالتهكم وقال :

« إنكن معشر الفتيات الانكليزيات تتباهين بحريتهن ولكنكن في نواح كثيرة أكثر تحفظاً من فتيات البرتغاليات الخاضعات للمراقبة »

وأجست بعينه الداكنتين المركبتين عقبيها لكنها بذلت جهداً لتحفظ بهدوء مظهرها بينما عاد هو يسألها :

« إني أعجب ماذا يعني الحب لديك بالضبط ؟ »

« وإني أعجب ماذا يعني الحب لديك ؟ »

« ماذا يعني الحب لدى أي برتغالي ؟ »

وقاومت الرغبة في أن تنظر اليه حينما استطرد قائلاً بصوته الجاد المتهكم :

« الحب ، إنه يأتي بخفة في اللقاء الأول ، وربما لا يستطيع الشخص أن يتبينه حينذاك ، لكنه يترك في الأعماق شيئاً محيراً ، ونجوم الأفكار حول هذا اللقاء الأول ، ثم حول غيره ، ويظل الإيجذاب الأول ينمو ويقوى حتى يصبح في الأعماق نارا مشتعلة »

وانجحت النظرة المتهكمة نحوها ولم تستطع أن تتجنبها واستمر يقول :

« ألا تؤمنين بالحب هكذا ؟ »

وبسرعة ردت كارول : « إني في دهشة من اعتقادك به على هذه الصورة »

قال وهو يخرج علبة سكاثر الذهبية : « إنك لا تعرفين شيئاً عن مشاعر الآخرين لأنك نفسك لم تتأثري بعقلها بعد »

وتأملها بعينه وفوجئت باكتشافها أنهما خضراوان داكتان وليسا سوداوين وسمعتة يقول : « إني أسألك . هل سأقابلك في وقت لا تكونين فيه مرتدية زى التعريض ؟ »

ورسست كارول ابتسامة مهذبة على وجهها وقالت : « هناك أوقات أظهر فيها بالملابس العادية ولكن الانسان يعتاد نوعاً خاصاً من الملابس »

وأخرج سكاثر من العلبة وأشعلها من ولاة حفر عليها اسمه وسأل :

« كيف أصبحت ممرضة يا أنسة كارول ؟ »

وفرددت كارول ثم هزت كتفيها قائلة :

« أعتقد أنني وجدت نفسي مدفوعة نحو المهنة »

وارتفع الحاجبان الداكتان وقال : « أفهم ، إنك تتجملين عن التحدث في الأمور الشخصية الى أن يتم تعارفنا أكثر ، حسناً ، سذهب الآن الى المكتبة »

ودخلت كارول ببطء الى حجرة المكتبة وهي تدور بعينها في تقدير حول صفوف الكتب . كم كان والدها سيحب مثل هذه الحجرة . إذ كان مزهوا بمجموعته الصغيرة وحريصاً عليها . وانجته فاليب نحو أحد الرفوف وسحب

مجلدا جلديا سميكًا ذا كعب مذهب وقال :

« أعتقد أنك ستجدين هذا الكتاب ممتعا يا سنيورا خذيه واقرأيه »

« لا أحب إستعارته إنها نسخة نادرة »

« لن يصيبها أي سوء معك . أعتقد يا آنسة كارول إنك تخمين الكتب »

« كثيرا جدا ، سأعني بالكتاب يا سنيور »

والنقط كومة صغيرة من الكتب من فوق المائدة كانت بدون شك المجموعة الغتارة للآنسة بروتون ولاحظت من جديد سلوكه ، إذ عاد الماركيز دي ألفيرو وبالثا منذ ألقى بملاحظته الأخيرة في الحجرة الأخرى ، ولم تكن متأكدة ما إذا كانت تفضل البرتغالي الحيادي أو فاليب المتكلم الذي يثير أعصابها . وقررت أنها تفضل فاليب دي ألفيرو وبالثا المتكلم رغم أنها لم تكن تحب هذا أو ذاك ، وقالت : « أعتقد أنه الأفضل أن أعود الى آنسة بروتون »
« بالطبع »

ولم يوصلها بنفسه الى السيارة رغم أنه عاملها في طريقة مهذبة لطيفة ، وودعها كما لو كانت ضيف شرف ، وليست مجرد الممرضة كارول . أية شخصية غريبة ! هناك لحظات أحست خلالها بأنها تقريبا تحبه . ثم كانت تصار عنه بعض التعليقات الشخصية ، وفي الحال يشتعل غيظها منه .

بعد مضي بضعة أيام كان على كارول أن تواجه اللقاء الذي نخشاه . كانت في الحديقة تجمع أزهارا للبيت ، عندما جذب التفاتها صوت عجلات سيارة تهم بالوقوف . لم تكن واحدة من السيارات الفاخرة اللامعة التي رأتها تقف هناك من قبل لكنها كانت سيارة أصغر ، وأقل شأنا بكثير ، بل وبدت بحاجة الى التنظيف وتأمنت صاحب السيارة ، وحينما لمعت الشمس فوق رأس أشقر ، ارتفعت يدها نحو قممها في حركة دفاعية غريزية وهتفت :

« فاليب »

كانت صرخة قرع ، لكن بعد لحظات كان كل كيانها مشدودا ومتيقظا .
« كارول ! »

ولمحت على وجهه ذهول عدم التصديق ، ثم شيئا آخر لم تستطع أن تسميه حينما أصبحت تعابير غير مقروءة وتحرك في إرباك قائلا :

« كارول . كيف ؟ »

قالت وهي تمسك عظم الاهتمام : « كيف جئت الى هنا ؟ جئت مع

مريضة ، ولم أكن أتوقع أبدا أن أجذك في خواماسا يا فيليب »

وأحست أنها بذلك أفهمته أنها لم تنبع الى الجزيرة وتفحصت عيناه الزرقاوان وجهها وقال :

« ولا أنا كنت أمل أبدا أن أراك هنا ، إنك لن تعرفي أبدا ماذا يعني ذلك لي »

وربما كان من الأفضل لكارول ألا تعرف ، فمن الواضح أنه سمع أن نيستا بروتون جاءت معها بمرضة شابة جذابة ، ولما كان قد ضاق بتحفظ الفتيات البرتغاليات كان مستعدا لأي لقاء جديد لعلاقة أخرى بما كان يسميه حيا ، وبدت ضربة حظ غير متوقعة أن تظهر في الأفق في ذلك الوقت الصغيرة الوردية كارول التي أحبه دائما ، وعاد يقول : « دعوت أن نجتمعنا فرصة أخرى من جديد لكنني لم أجزؤ أبدا على أن أمل في تحقيق ذلك »

« وما جدوى هذا اللقاء ؟ انتهى كل شيء بيننا يا فيليب »

« هل انتهى حقا ؟ »

« أنت أنهيت كل شيء يا فيليب »

« كنت مجنونا »

« لأنك فضلت فتاة أخرى ؟ إنك حر تماما في أن تغير رأيك . »

« دعيني أشرح قبل أن تقول شيئا آخر ، حدث ذلك في قطار ، بدأنا نتكلم كما يحدث عادة في الرحلات الطويلة واكتشفنا أننا مرتبطان بالهدف نفسه وعندما وصلنا كنت مأخوذا تماما واعتقدت أنني واقع في حبها وهي لم تكن تعرف شيئا عنك »

قالت كارول وهي عاجزة عن أن توقف زحف المراة الى صوتها :

« كم يبدو ذلك مناسباً للغاية ! »

لقال : « لا تكوني قاسية ، امتحيني فقط فرصة ، وأعد بأن أفعل كل ما في وسعي لأزيل أسايخ الشقاء »

واستندرت كارول لتواجهه وسألته :

« هل تقول إنك تادم على قسح عظومتنا ؟ »

وتجيب ردا مباشرا وقال : « أعرف أنني بعث الذهب بالنقاية ، لم يكن ذلك حيا ، فنجرت العواطف ثم انتهت ... أنا لا أطلب منك الآن أن ترتبطني بي ،

اسمحي لي فقط بأن أراك ثانية حتى أجعلك تستردين ثقتك بي »

وأوشكت كارول أن تقتنع إذا اكتشفت أنها لا تزال تحبه ثم تبين أن ذلك لن يكون عدلا ، إنه لم يكن يعرف شيئا عن الحادث ولا عن الفترة القصيرة التي تيقنت لها في الحياة . وهزت كتفها قائلة :

« الانفصال حدث يا فيليب والجرح اندمل ولا جدوى من شريك الرماد »
وأشاحت عنه من جديد لأن الجرح لم يكن قد اندمل وكان من السهل أن تلقى بنفسها إليه وأن تبكي عذابها بسبب ذلك الخطاب وما فعله بها . ولكن فيليب يجب ألا يعرف حتى لا يلوم نفسه على نتيجة الحادث ، ولذلك لن تسمح للحب الذي كان بينهما أن يشتعل من جديد .

« عواطفنا لم تنصنع وماذا يا كارول ، لم تمت ، تعرفين ذلك مثلما أعرفه إنني أعيش في كرب منذ كتبت ذلك الخطاب . بعد ذلك كنت مرتبكا ، لا أدري ما أفعله . أردت أن أكتب اليك ثانية . وأن أطلب منك أن تقبلي عودتي اليك ، ولكنني اكتشفت أنني لا أستطيع ، لم أتصور أنك يمكن أن تغفري لي وكنت أعلم أنني أستحق أن أفقدك »

« كيف عرفت أنني هنا ؟ »

« لم أكن أعرف ، سمعت أن الأنسة بروتون أصيبت بكسر في ساقيها في انكلترا وجئت لأسأل عنها ، وعندما رأيته هنا تيقنت أنها القرصنة الثانية التي تمنيتها كثيرا »

ثم أضاف وهو اقرب اليها : « متغفرين لي ، أليس كذلك يا كارول ؟ »
وحاول أن يديرها لتواجهه لكنها قاومت وقالت :

« سأغفر لك إذا كان ذلك ما تريد ، لن يكون بيننا شيء أكثر من ذلك ، ما كان من قبل مات ومن الأفضل أن الأمر تم على ذلك النحو . كان من الممكن أن نتزوج ثم نكتشف بعد ذلك بأننا في الحقيقة غير منسجمين »
وايتم فجأة وانقا من شدة تأثيره القديم عليها وقال :

« إنك تهذين يا حبيبتي ، هل تعتقدين أنني لم أر ما كان في عينيك عندما وقع بصرك علي لأول وهلة ؟ إنني لم أصدق في البداية ونحشيت أن أعمل أكثر من اللازم ولكنني الآن متأكد »

وأخيرا صدقته ومرة أخرى قاومته لأنه كان يجب ألا يحبها وقالت بغضب مصطنع : « لا أستطيع أن أقدر ما إذا كنت مخدوعا أو مجرد أعمى يا فيليب . فمهما كان ما تصوره في عيني فهو ليس الحب »

وحاول من جديد أن يضمها بين ذراعيه ولكنه كف عندما انتزعت نفسها منه بتصميم وقالت : « من فضلك يا فيليب ، اذهب ، لا جدوى من الاستمرار في هذه المناقشة أطول مما فعلنا »

وتركها عائدا إلى سيارته . لم تعد المسألة قضاء على الملل ، فالصغيرة كارول تتخيل أنها تطرده ؟ في الماضي كانت أشبه بالعجينة بين يديه ولم يستطع أن يفهم القوة العميقة التي تصدت له الآن . كان يعرف أنه لا يحبها ولم يحبها أبدا ، ولكن ذلك لم يمنعه من أن يخطط لوقوعها في حبه من جديد . كانت قد نسبت أن نيسا عمدة على الأريكة أمام النافذة التي نطل على الحديقة ، وأدركت كارول فور دخولها البيت أن المرأة رأت ما حدث بينها وبين فيليب ، حتى ولو لم تكن قد سمعت ما قيل . وقالت نيسا وهي ترمق كارول بنظرة حادة : « إذن جاء لابلاند ، ماذا كان يريد ؟ »

« أن أتسبى ما حدث »

« وماذا قلت له ؟ »

« قلت له أن يترك الأمور على ما هي »

وتفقت نيسا في ارتياح وسكتت ثم قالت بهدوء شديد : « هل يعرف ؟ »
« تفصدين عن الحادث ؟ »

وهزت كارول رأسها بالنفي وعادت تقول :

« كلا ، تركته يعتقد أنني لا أستطيع الوثوق به »

وأحست باللهفة لأن تذهب إليه تخبره الحقيقة : بأنها لا تشك فيه ، وأنها مازالت تحبه ولكن ذلك كان مستحيلا . واستطردت قائلة :

« لا أستطيع أن أخبره قد يلوم نفسه على ما حدث »

« الواقع إن اللوم يقع عليه »

« كلا ، لا لوم عليه . لو لم أكن جبانة مستغرقة في عذابي ما كان يمكن أن أندفع بدون أن أدري وجهتي »

« في أي حال إنه ملوم خلقيا »

« ربما يكون ملوما خلقيا ، ولكنني مازلت لا أريده أن يعرف »

« ولكنه سيعرف يا عزيزتي في وقت ما »

« قد لا يحتاج ، أستطيع أن أجعل كل شيء يبدو لو كان حادثا ، أستطيع أيضا أن أعود أدراجي إلى انكلترا إذا اختفيت ذات ليلة فإن ذلك سينفذ الجميع »

من متاعب الجنازة ؟

« لا أعرف إن كان علي أن أطيب خاطرك أو أن أصرخ في غضب . إنه هو الذي تسبب في كل ذلك . وأنت تبدلين كل ما في جهدك لتتبعني اكتشاف الحقيقة ، لماذا ؟ »

« لأنني مازلت أحبه ، لذلك تركته يذهب بعيدا ، أعرف من الطريقة التي تكلم بها إنه قد يحيني من جديد ، ولكنني لا أريد أن أعيد النقي إلى حبه ، وبهذه الطريقة لن يكون موفى ضدمة عتيقة له . »

« أحيانا أعتقد أنك حمقاء طيبة القلب . »

« أنا مجرد واحدة شغب . »

مجرد كلمات قليلة ناعمة ، ولكنها كانت تخفي عذاب قلب محطم . كانت نيسا تعرف كيف يكون حال الفتيات من نوع كارول .

قد يخلصن لرجل ليس على ذرة من الطيبة معهن ، ثم يخفين نعاستهن وضياعهن وراء ابتسامة ، ولكن كم منهن يمكن أن يمضي شوطا بعيدا مثل كارول ؟

٤ - العقد العربي

قالت نيسا يتمعن بينما كانت كارول تملك ساقها :

« هل حاول الاتصال بك ؟ »

« أرسل إلي ورقة يسألني فيها أن أقبل دعوته للعشاء ، لكنني رفضت . »

قالت إنني مشغولة للغاية .

« لا تقلقي ، أأكون مريضة مشاكسة وأرفض أن أدعك تخرجين حينما يطلب ذلك منك . »

واستدارت نيسا في الحال ورمقت كارول بنظرة مباشرة وقالت :

« هل أخبرك لماذا يريد حقا أن يراك ؟ »

« إذا أردت . »

فيليب لايلاند يحس بالملل في مكان مثل نيواماسا وهو يحب الحياة الاجتماعية ولا يستطيع أن يحظى بها هنا لأن المجتمع الرافقي في الجزيرة الذي يظن نفسه ينتمي إليه لا يمكن أن يتقبله وهو يعتقد نفسه أعلى من الآخرين ، أعرف أنك لا تصدقيني لذلك سنتكلم الأمر عند هذا الحد في أي حال بدأت تنجليين علي حبه .

ونظرت كارول إلى المرأة التي تكبرها منا بشيء من الدهشة ، في البداية فكرت أن كلامها لا يخلو من الحقيقة فالألم القديم لم يعد يوجع كثيرا ، ولكن ربما كان ذلك لأنها في أعماقها كانت تعرف أن الألم لن يبقى لمدة طويلة فقد كان محدودا بما تبقى لها من العمر .

ونظرت نيسا إليها محاولة أن ترى ما يقع القناع الباهت للعلامح التي كانت تثبسم في وجه الموت وقالت أخيرا :

« إنني لا أستطيع أن أتفهمك يا طفلي أعقد أنني لو كنت مكانك كنت

حتمًا سألعن القدر كل دقيقة في اليوم .

« في البداية كنت أفعل ذلك ثم وصلت الى اتفاق مع نفسي في النهاية ، فمادامت ألامي المتيقة في الحياة معدودة لابد أن أحاول عيشها عادة الى أن يصبح من المستحيل أن أفعل ذلك . »

وابتسمت كارول في دعة وذهبت للجلوس تحت أشعة الشمس ومعها كتاب الملك آرثر كما طلبت منها نيسا وفطحت الكتاب كان يبدو قديما للغاية وقمينا وأمسكته بعناية متعجبة من وجود كتب الانكليزية في مكتبة فاليب ولكنها تذكرت أنه يتكلم الانكليزية بطلاقة وأنه بدون شك يظالمها كذلك جيدا . وجدت في الكتاب صورتين كبيرتين ملونتين للملك آرثر وأخته غير الشقيقة العرافة مورغانا لو فاي بريشة فنان مشهور ووجدت نفسها تحدق في الصورتين باهتمام ، كانت المرأة مرسومة على أنها جميلة للغاية ولكن جمالها البارد كان يوحي بشيء من القسوة وكانت لعينها نظرة غامضة وكانت ترتدي ثوبا بسيطا أسود ذا كممين واسمين مثل الكيمونو وحول عنقها عقد من الأحجار الكريمة وبهذه الأحجار نفسها حول الكممين الواسعين والحزام ، وقد صفت شعرها على طريقة القرن الثالث عشر ، وعطفت بوشاح زسود طويل لامع . وبعد لحظة قلبت كارول الصفحة لكن من الصعب عليها أن تركز في القراءة وأحست بدفء الشمس يخترقها وشعرت أنها كانت تستمتع حتما بالحياة في خواماسا ، فقد وقعت في حب الجزيرة رغم القليل الذي رآته منها ، وإن كان فاليب آخر شخص كانت ستعترف له بهذه الحقيقة .

وجذب ذلك تفكيرها الى فيليب ، لقد كان فاليب وفيليب اسمين متماثلين وإن اختلفا في النطق وربما لو كانت الأمور مختلفة لجاءت الى هنا عروسا لفيليب وكانت خواماسا ستبدو لها حينذاك جنة الله في أرضه ! وغفت لفترة وبدأت تخلم كان ذلك خليطا من الحلم والكايبوس رأت والدها يحوم حول الحديقة بوجهه الحبيب المألوف ، ثم فجأة رأت فيليب قادما عبر المر والشمس تلمع فوق رأسه الأشقر كالعادة وجرت لتقايله يترعنين مفتوحين ، لكن شخصا أمسك بها من الخلف بلا رحمة ولم يدع لها فككا . ولم تكن تستطيع أن تراه لكنها توسلت الى أسرها أن يتركها ، ثم ظهرت في رؤياها مورغانا لو فاي التي رأتها في الصورة : كانت السخريه بادية في نظراتها وهي تضحك بقسوة في حين كانت كارول نفسها تتوسل من

جديد لأسرها أن يتركها حتى تذهب الى فيليب الذي كان طول الوقت يتعاهد عنها شيئا فشيئا لأن ذراعي أسرها القويتين كانتا تسحبانها الى الخلف الى حوة مظلمة أشبه بتلك التي هوت فيها بعد الحادث .

وأفاقت برجفة حادة وظلت تنظر حولها في الحديقة بشيء من الذهول ثم وقع بصورها على الكتاب الذي كان مفتوحا أمامها وأغلقتة بسرعة ، وب نظرة الى ساعتها أدركت إن نيسا لابد أن تكون مستعدة للنزول الى الردهة في الدور السفلي لتسريح على الأريكة وسرت لأن شيئا آخر سيحول ذهنها عن الحلم الغريب . وقالت لها نيسا عندما دخلت الحجرة :

« نسيت أن أخبرك ميكرا أننا سنستقبل زائرا في الصباح »

« أتمنى ألا يكون الماركيز »

وضحكت الأنسة بروتون ورمقت الفتاة بنظرة متفحصة مأكرة وقالت :

« ليس الماركيز ، إنك تكرهينه فعلا »

« إنه يجعل أعصابي يتحرق إنه عادة يقول شيئا ما ، ثم يتوقع من كل شخص أن يحقق له رغبته »

« إنك ذات نزعة مستقلة للغاية ، وهو اعتاد خضوع المرأة البرتغالية ، يجب أن تتذكرتي ذلك »

« أرجو أن يتذكر هو ذلك »

« ربما يفعل »

وأحست كارول أنهما تحدثتا طويلا بشأن فاليب دي ألفيرو ريانا مادفعها الى تغيير دفة الموضوع فسألت :

« من الذي سيورنا ؟ »

« السنيورا تيريزا أكواراس »

« واحدة أخرى من صفوة خواماسا ؟ »

« إن وصفك قريب فأسرة أكواراس ترتبط بعلاقة صداقة من أسرة ريانا منذ أجيال ، جاؤوا معا في الماضي الى الجزيرة وهناك شائعات في الجزيرة تقول أن

فاليب سيتزوج من ابنة أخ السنيورا أكواراس »

« أتمنى لها أن تمتنع به »

وأطلقن نيسا ضحكة قائلة :

« لديك نظرة مورغانا لو فاي الأسطورية »

« إنه يجعلني أحيانا أتمنى لو كنت بالفعل مورغانا لو فاي الأسطورية هذه . »

إن له نفوذا كبيرا في الجزيرة .

« يبدو أنك في أعماقك تخمين أن تنصاري معي والآن انطلقني وإرتدي أحد أثوابك الجميلة فإني لن يحضر ولذلك لن تكوني مضطرة إلى ارتداء زي المعرصة لتضايقي »

« إنني لا أرتدي الزي الرسمي فقط لأضايقه »

قالت كارول ذلك بشيء من الانفعال رافضة أن تسمح بأن يكون قادرا على أن يملأ عليها أي تصرف حتى ولو كان مجرد مضايقة . وذهبت إلى حجرتها وفتحت خزانة الملابس ووقفت تتأمل محتوياته بعين ناقدة . واختارت ثوبا من الكتان الأصفر يناسب رقة وجهها ، يضيق عند الوسط وينسدل عند الخصر في طيات متعددة . ويحذر تحسنت قمة رأسها حيث كان الجرح العميق ولكنها لم تكن تشعر بأي ألم حتى عندما تضغط عليه . وخرجت إلى الشرفة ولحقت غيارا أثابها عن اقتراب سيارة وأمركت أن ضيفة نيسا وصلت وترددت في النزول متسائلة إذا كانت بوصفها ممرضة يجب أن تفعل بعيدة أم تنزل إلى الضيوف ، وفي النهاية قررت أن تنزل وتسال نيسا ما يجب أن تفعله . وحينما فتحت الباب ظهرت السيارة ونظرت نيسا من مكانها فوق الأريكة وهتفت : « يبدو أن السنيورا وصلت »

وسألت كارول : « ماذا يعني بالضبط لفظ سنيورا ؟ اعتقدت أنه لقب المرأة المتزوجة ، ولكن الماركيز ناداني به أيضا »
« إنه بالفعل للمرأة المتزوجة لكنه أيضا الطريقة الرسمية للتخاطب مثل مدام »
« تعجبت ثم افقدت أنني يجب أن أدعي سنيوريتا »
« ستكتشفين أن لفظ سنيوريتا طريقة أكثر مودة للتخاطب ، وتعني درجة معينة من الألفة »

وإزداد البريق في عيني نيسا لمعانا وهي تستطرد ضاحكة : « عندما يناديك فإني سنيوريتا فاعلمي أنكما تقدمتما درجة في علاقة الصداقة »
ورمقتها كارول بنظرة جافة وقالت : « أشك أنني سأقدر هذا الشرف »
وتذكرت ما جاء بها وقالت : « جئت أسألك ما المفروض مني أن أفعله ؟ »

« ماذا تعنين ؟ تفعلين ماذا ؟ »

« أنا هنا ممرضة ، هل أبعد عندما تفصل السنيورا ؟ »

« كلا بالتأكيد ستبقين هنا معي »

كانت السنيورا أكوامس رفيقة العظام وكانت مانزال رشيقة كما أنت وهي فتاة وكانت عيناها العميقتان شديديتي اللمعان . والذكاء . وروحيت نيسا بالبرتغالية ثم أضافت بالانكليزية : « اعلميني لعدم يقو في يا فيريزا فإني لم أسترده بعد القدرة على استعمال ساقي »

ولاحظت كارول أن نيسا خاطبت السنيورا باسمها الأول دون ألقاب شأنها مع فإني . وسألت في فضول عن الوقت الذي استغرقته نيسا في كسر تشكيلات المجتمع البرتغالي في خواماسا . لم يكن بالتأكيد غزوا مدبرا فلم تكن نيسا بروتون من النوع الذي يقتحم المجتمع اقتحاما ولكنها كانت ذات طبيعة ودودة تهتم بالآخرين مما جعل لها أصدقاء في كل خطوة لها في الحياة . وقالت السنيورا بالانكليزية ذات لكمة واضحة :

« أسفنا للغاية للحادث الذي وقع لك ، هل مستعدين قدرة سافك كاملة ؟ »
« هذا ما أكدته لي وعادت المعرصة كارول معي لتساعدني على تحقيق ذلك »
وتقدمت كارول وتم التعارف الرسمي وأحست بعيني السنيورا الرائعتين الحادتين محدقتين فيها حين سألتها :

« هل هذه هي أول مرة لك خارج انكلترا يا أنسة كارول ؟ »

وكانت السنيورا تتكلم بطريقة مهذبة وإن اصطبلت بالترفع ، ذكرت كارول بعض الشيء بفإني وأن كانت خالية من ذلك الشيء في سلوكه الذي كان يضغط دائما على أعصابها وأومات بخجل وقالت : « نعم ، إنها المرة الأولى »
« أظن أنك ستحبينها »

وأحست كارول بأن عجلها بدأ يتلاشى وأشرق وجهها بانسامة وهي تسأل
« ما الذي يجعلك تظنين ذلك ؟ »

« لك مظهر من تستطيع أن تستمتع بالحياة في المناطق الحارة »

« أمل أن أستمتع بإقامتي في خواماسا »

وسرت رجفة في أوصالها عندما تذكرت ما الذي يمثل الوقت في خواماسا بالنسبة إليها . وفجأة سألت السنيورا : « هل التقيت بالماركيز ؟ »

« نعم »

ولم يكن في نيتها أن تضيف شيئا إلى ردها المقتضب بعدما فرضت السنيورا اسمه على الحديث كما لو كان ذلك أمرا محتما . كما لو كان من الصعب ألا يذكر اسمه في أي حديث . وقالت نيسا وفي عينيها بريق واضح كأنها

نعرف ما يجول في خاطر ممرضتها الشابة :

« غالب ترد مرتين للسؤال عني »

واستطردت السينورا متسائلة

« وهل شاهدت قصر بالاسيو ؟ فيه جناح مغربي يستحق الاهتمام »

وأجابت كارول بأنها شاهدت جزءا من القصر لكنها لم تفصح عن بقية أفكارها بالكلمات فلم تقل أن الماركيز دار بها وأنه يسلكه المتقاعد المترفع أشعرها بأنه لن يدعوها ثانية للقصر ، وبسرعة أقدمت كارول نفسها بأن ذلك أسوأ لا يشغلها على الإطلاق . ولم تبق السينورا طويلا وبشيء من الدهشة رأيها كارول تقف بعد ابداء ملاحظتها عن القصر بقليل ، ثم استدارت السينورا ناحية نيسا قائلة :

« أسفة على قصر زيارتي اليوم ، ولكن أرجو أن تسمح لي لممرضتك الآنة كارول أن تتناول الغذاء معي يوما فان سيلستينا وماريتا طلبتا معرفتها »

ولأن نيسا تعرف سيلستينا شكت في الأمر . فلو كانت احداهما طلبت مقابلة كارول لا بد أن تكون ماريتا المتدفقة حيوية وشبابا . وقالت نيسا بصوت مرتفع وهي تبتسم للفتاة : « إنني متأكدة إن كارول يسعدها أن تلقاها »

وتنهدت كارول في ارتياح عندما انصرفت الزائرة وقالت :

« شعرت كأنني في امتحان »

« كنت بالفعل ولكن لا تقلقي اجتزت الامتحان بشرف ، انك الآن مستقمنة الى سيلستينا وماريتا أكواراس ، وستدخلين مجتمع خواماسا »

وأشاحت كارول بعيدا وفي اعماقها رجفة وسألت :

« إنني أسألك ، هل تذكرين العهد الذي أخذته على نفسك »

« نعم أذكره ، ولن أصعل على نفسي ، ولكنني أحيانا لأستطيع مقاومة المرارة رغم إنني أحاول قهرها »

« لماذا لا تلذهبين الى لورنزيتو وتلقيين نظرة على المدينة ؟ أعتقد إن ذلك سيروق لك »

وترددت كارول ثم بدا لها الاقتراح مقبولا وقالت :

« أعتقد ذلك أنا أيضا هذا اذا كنت متأكدة أنك لا تريدني مني شيئا »

« بالتأكيد لن أحتاج اليك في شيء »

خرجت كارول الى حيث كانت سيارة نيسا الصغيرة في الكراج ، ولم

تذكر أنها نيت طلب المفاتيح من نيسا إلا عندما وصلت الى هناك . ورأتها تيريز مقبلة من ناحية الكراج فخرجت من اتجاه المطبخ وهي تلوح باضطراب وتتكلم بانكليزية المفهالة حتى أن كارول لم تستطع في البداية أن تفهم ما كانت تقول .

« هل تريد السينوريتا تحريك السيارة ؟ »

واستطاعت كارول أن تميز كلمات هذا التعبير الغريب أخيرا وابتسمت قائلة لتيريز : « أريد أن أذهب الى لورنزيتو من معي المفاتيح ؟ »

« الكسول معي المفاتيح »

وغاب جوليو فترة طويلة وأخذت كارول تسلي نفسها بالتجول في الحديقة ولمس الأزهار واسترعت انتباهها نخلة طويلة كأنها تعانق السماء الزرقاء الالامعة . فتبادلت كيف الحال في انكلترا ، هل هناك السماء زرقاء أيضا أم أنها تعطر شأنها عندما غادرت مطار لندن ؟ بدا من غير الممكن في هذه الحديقة الاستوائية بأزهارها المفتحة أن تكون هناك في مكان آخر من العالم سماء باردة رمادية ملبدة . وسمعت عن بعد صوت تيريز ترطن بالبرتغالية وهي بلاشك تلوم زوجها لتأخيرها واستدارت كارول ولم يكن أمامها إلا أن يتنسم في دهشة ، فقد ظهر جوليو في زي نظيف وقبعة عالية فوق شعره الأشيب وبعد لوان تبينت أنه ينوي أن يقود السيارة بنفسه فقالت وهي تمد يدها لتأخذ منه المفاتيح : « سأقود السيارة بنفسي يا جوليو »

وهزت تيريز رأسها وهي تتحدث ضجيجا وقالت بانكليزية متعثرة :

« يجب ألا تقود السينوريتا السيارة بنفسها ، هذا ليس »

ولم تسعفها الانكليزية فقطعت كلامها ثم أكملته بالبرتغالية فسألت كارول باجتماع وهي لا تدري بعدما وراء أغراض تيريز :

« تقصدين إن ذلك لا يحدث هنا ؟ »

وأومأت تيريز ومن جديد واجهت زوجها كأنما انتهى الأمر وابتدأ جوليو يتقدم نحو الكراج لكن كارول أوقفته بحركة أمرة لاإرادة وابتسمت للزوجين قائلة : « ربما كانت الفتيات البرتغاليات لا يقدن السيارات بأنفسهن ولكنني انكليزية وكثيرا ماقدت سيارة أبي في وطني لانقلقا إنني أعرف حقيقة كيف أقود السيارة »

وأوشك وجه جوليو المستاء القانط أن يحطم رغبته في التمسك بحريتها ،

وهمت بأن يتسم وأن تتخلى عن تصميمها لهذا السبب وحده وعندما فوجئت بتعبير تيريز الفزع وهي تقول : « ولكن يا سيور ماركيز » وفي الحال اختفى ضعفها وبرقت عينتا كارول بالشر حينما انبثقت الحفيظة أمامها وقالت : « أقصد أن تعليمات الماركيز ألا يسمح لي بقيادة السيارة ؟ » ولم تكن بحاجة إلى إيعاءة تيريز لتحقيق من ظنها فاشتد غضبها وقررت أن تذهب إلى لورنزيتو بنفسها حتى ولو اضطرت إلى السير على الأقدام ، وضغطت على شفتيها بقوة وانفجر بركان غضبها وهي تقول : « إذا أعطى الماركيز التعليمات والماركيز طبعاً يجب ألا نعصى أوامره ، إنني لا أعرف أي نوع من التعليمات أعطاه الماركيز ولكنني لا أهتم لها » وقالت تيريز : « ولكن يا سيوريتا »

وأخذت كارول المفاتيح بزهو . كان وجود القطع المعدنية في يدها يعني أن فاليب لم يكسب هذه الجولة على الأقل حتى وإن كانت المعركة عن بعد . وباحتراس شديد أخرجت السيارة من الكاراج وأمام عجلة القيادة كانت لا تزال تحس بالزهو ولكنها بدأت تنبه إلى احساس صياني بالذنب وشعرت بأنه سيكون أمراً سيئاً للغاية لو تصادف واختار فاليب اللحظة التي تصل فيها إلى مفترق الطريق بين القصر ولورنزيتو للظهور ورؤيتها وهي تضرب بتعليماته عرض الحائط . ولم يظهر الماركيز في أي لحظة ووصلت المدينة بدون أية مضايقات . كان ممعاً أن تقود السيارة في الطريق المخفوف بالأشجار من الجانبين رغم سحب الغبار التي تكتنفه وصممت أن تكتشف المدينة سيراً على الأقدام واتجهت ناحيتها بعض الأنظار وهي تركن السيارة في الطريق الواسع الحديث الذي كان جلياً أنه وسط المدينة . وعزت ذلك إلى كونها أجنبية ولم تنبه إلى جاذبية صورتها في الثوب الأصفر ذي الذيل الفضفاض .

وعبرت الطريق ومرت أمام مدخل فندق عصري فخم بدون أن تنظر إليه . جاءت لترى جانباً آخر من لورنزيتو ، لم تكن ضمنه الأبنية ویدافع تلقائي استدارت لتدخل أول شارع ضيق قابلها ، ووجدت أن التجديدات الحديثة أقل أثراً فيه ، فالقباب متناثرة بكثرة والشارع يتحدر بضيق شديد ، وبعض الأبنية المتلاصقة يبدو ذا طابع شرقي . ألقت نظرة على ساعتها وأدركت أنها توغلت بما فيه الكفاية وعليها أن تعود أدراجها وحينئذ بدأت المتاعب فتشعرت أن الطريق غير مألوف لكنها ماكادت ترى البحر حتى نأكدت مما خشيته ، وكان

عليها بعد ذلك أن تختار بين طريقين ، أحدهما يؤدي إلى شارع ضيق كانت متأكدة أنه لا يوصلها إلى المكان الذي جاءت منه ، والأخرى كانت أكثر اتساعاً وتخف بها الأشجار على الجانبين وتوجه مباشرة إلى خليج صغير حيث كانت ترمو مراكب الصيد والنزهة . وعادت أدراجها إلى الطريق التي تخف بها الأشجار ثم إلى شارع أضيق باحثة عبثاً عن شيء يمكن أن تعرف به على طريقها ، لم تكن تعرف البرتغالية وكان الممكن يبدو حياً شعبياً في المدينة . وما كان يمكن أن تجد فيه شخصاً يفهم الانكليزية لذلك أدركت أنها ضلت طريقها بالفعل . واستمرت في محاولتها ومازال الأمل يساورها . ووصلت إلى محل عاديات ، ونبقت بصورة قاطعة أنها لم تأت من هذا الاتجاه لأنها ماكان يمكن أن تمر على مثل ذلك العقد في واجهته بدون أن يخطف بصرها . كان العقد وسط مجموعة من السلع غير القيمة لكنه كان يعلن عن نفسه ببساطته الغريبة فمن سلسلة دقيقة كانت تتدلى حوالي ثمانى دوائر فضية ومغطاة بنقوش دقيقة ، وأحسست كارول في الحال بالرغبة في اقتنائه وكانت النقود معها لكن المشكلة كانت في التفاهم مع البائع .

داخل المحل وجدت شاباً وسيماً نظر إليها باعجاب واضح حتى أنها أحسست بالدماء تتدفق إلى وجنتيها لكن تعبيره كان طبيعياً وغير مؤذ على الإطلاق ولم يفهم طلبها وإن ظل يتأملها في سعادة واعجاب بعينين براقتين شديدي السواد . وأوشكت كارول أن تياأس تماماً عندما حجب ضوء الشمس بدخول قامة طويلة إلى المحل ولسبب ما ذكرها ذلك بأول مرة رأت فيها فاليب ، عندما دخل فيلا فرانثيسكا . لكن لم يكن لديها من الأسباب مايدعوها إلى الاعتقاد أنه كان فاليب من جديد ، بل لم يخطر ذلك على بالها حتى رأت تعبير الشاب البرتغالي يتغير تماماً وهو يقول : « السيور الماركيز ! »

وتجمعت كارول إذ سمعت رداً بالبرتغالية بصوت مهذب نادر كانت قد بدأت تعرفه جيداً . واتجه صاحب المحل الشاب في الحال ناحية واجهة المحل . واستدارت ببطء ووجدت فاليب خلفها قريباً للغاية إلى حد دفعها أن تتراجع خطوة ، ولحمت في عينيها الداكنتين تلك النظرة التهكمية الحيادية الملزمة له ، إذ قال : « فاجأني يا سيوريتا ، فهذه منطقة قبيحة لورنزيتو لم أتوقع أبداً أن أجدهك فيها » ولم لا ؟

وحاولت كارول أن تحتفظ بصورتها فائرا وهي ترد ، ولكن مما أفرعها أنه كان معبرا عن التحدي ، الأمر الذي لم تكن تريد على الإطلاق ، فقد كان ذلك دليلا على أنه يستطيع أن يشير اضطرابها خاصة عندما أحست بعينه تتفحصانها بالنظرة الناقدة المعتادة ، أخذت في الاعتبار أنها لم تكن مرتدية زي المرضية وتستقران فوق تموجات شعرها البني القصير ، وتجدد استياؤها لأنه تأملها أكثر من اللازم بل وأكثر من ذلك ، بدا واضحا أنه وجد التغيير فيها إلى الأفضل . وقال الماركيز : « لم أكن أعتقد أنك يمكن أن تقتحمي المجهول وحده لذلك يجب علي أن أصحح رأيي فيك »

وهزت كارول كتفيها حريصة هذه المرة على إخفاء ضيقها وقالت :

« لم أشأ أن أبقى في الأجزاء الحديثة من المدينة »

واستدار إلى الشاب البرتغالي الذي عاد بالعقد ورفع حاجبا واحدا في دهشة وقال : « اخترت حلية عظيمة بالنسبة إلى شخصيتك الانكليزية الباردة »

« ماذا تعني ؟ »

« ربما يجب ألا أخبرك »

وتأملها بتمعن كما لو كانت ذبابة على طرف دبوس ، تخيلت كارول ذلك وتملكها الغضب بينما عاد هو يقول :

« ربما يجعلك ذلك نخشين شراء العقد »

ورفعت كارول رأسها متحدية وقالت : « لا أعتقد ذلك يا سنيور ، قلت ما فيه الكفاية لإخافني لو أنني اصدق الخرافات »

« شجاعته تستحق الإعجاب لإقدامك على التعاقد مع المجهول »

وزشاحت كارول بوجهها بسرعة لتجنب وجهه الباسم الأسمر شاعرة بتلاحق أنفاسها على غير عادة ، ومتسائلة في الوقت نفسه عن المعنى الحقيقي للعقد ، وإذا كان للنقوش علاقة بالخطر المزعوم الذي تحدث عنه . ولكنها اعترفت في أية حال شراء العقد مهما كان تاريخه القاتم ، وبمساعدة فاليب عرفت الثمن ودفعته ووضعت العقد حول عنقها أمامه متحدية تاركة الدوائر الفضية تتدلى من خلال فتحة رقبتها ويبد حازمة تحت مرفقها قادها خارج المحل في اتجاه السيارة الكبيرة السوداء وجعلها الإحساس بيده تشعر من جديد بأنفاسها المتلاحقة الغريبة ، وتضايقت من نفسها لتأثرها بجاذبيته وسحره حتى وهو يسخر منها ، واختفت ابتسامته وعيس حتى تقارب حاجباه وتذكرت هي

فراها بالسيارة حين سألها بحدة : « أين جوليو ؟ لماذا سمح لك بالتجول في شوارع لورنزيو بدون أن يكون معك ؟ »

وكان ينظر حوله وهو يتكلم ياحثا عن السيارة واضطرت كارول إلى الاعتراف بأنه لم يكن هناك جوليو ولا السيارة . وجعلتها لهجته تخش أنها ارتبكت ذنبا عظيما ، واكتشفت أنها تعاني شيئا من الخوف رغم نفاها بالهدوء ولم يرد في الحال ولكن شفتيه انفرجتا قليلا عندما فتح باب سيارته وقال : « من فضلك اجلسي يا سنيورا »

ولاحظت كارول في الحال عدوله عن مناداتها بلفظ سنيورينا الأكثر ألفة وشعرت كما لو كانت طفلة شقية عصت الأوامر وقالت :

« ليس على جوليو لوم يا سنيور فأنا أضرت على المحي ، بمفردي »

« لا يخالجني أدنى شك في أنه لالوم على جوليو ، يبدو أنك قليلة الاحترام لعادات الجزيرة يا انسة كارول ، ولكن اذا كان في نيتك أن تبقي هنا لأية فترة فمن مصلحتك الخاصة أن تراعيها »

« أنا لم أعود أن يصحبنى مرافق حيثما أذهب »

وضغطت على شفتيها وأحست بتدفق مشاعر الغيظ التي كان يحركها فيها الماركيز دائما وعندما خلفا المدينة وراءهما وصارا في الطريق التي كانت تحف بها الأشجار ألقي عليها نظرة جانبية وسأل :

« لماذا تصرين على إخفاء شعرك ؟ إن له لونا جميلا غير معتاد »

ونطق التعليق بالصوت العادي غير الشخصي الذي استعمله عندما أشار إلى أنها لا تحبه وعاد يقول :

« وجهك يحقن ؟ هل ماقلته من الأشياء الممنوع ذكرها ؟ »

وسددت كارول نحوه نظرة سريعة من عينيها واسمعتين مذهولتين ، كان حينئذ يبدو في ابتسامته ساحرة لطيفة جعلتها تشعر من جديد بذلك التلاحق الغريب في أنفاسها وقالت : « فاجأني يا سنيور »

« إذن فلست معتادة على الإطراء اليس للرجال في انكلترا عيون ؟ »

ورمته كارول بنظرة أخرى جانبية لكن وجهه كان خاليا من التهكم . كذلك كان صوته ، ولم يكن أمامها إلا أن تأخذه بظاهرة كلماته ، ولكن ذلك جعلها من جديد في موقف من لا تعرف كيف ترد ، فحينما كان تأملها بسخريته المعتادة كان أمر الاجابة أسهل كثيرا ، إذ كان طبعها الحاد

يتولى المهمة ، ولكنه عندما يختار سحر ابتسامته التي كانت تظن أنها المسؤولة حقيقة عن حب الجزيرة بأكملها له ، بداية من السنيورا أواراس المترفعة ، وحتى تيريز شديدة الانفعال فإنها تشعر بالارتباك الشديد وقالت أخيرا : « أعتقد أن الرجال عندنا يلاحظون الأشياء غير العادية أو ذات الأهمية الخاصة فقط »
« وأنت ألسنت ذات أهمية خاصة ؟ »

وقررت هذه المرة ألا تعلق ولكنها كانت واعية بأن احساسها بالعداوة نحو خف رغم أنها أثبتت نفسها بشدة لأنها تأثرت ببعض الاطراء الأجوف ، فالماركيز دي ألفيرو ريثا ما كان يمكن أن يجد ما يهتم به حقيقة فيها . وانطلقا بالسيارة لفترة في صمت الأمر الذي رحبت به . وفوجئت تماما بأنها لم تفكر في فيليب ساعات عدة وكانت بحاجة لأن تعرف معنى ذلك ، لأنه كان في العادة دائما في تفكيرها ، وأكثر من ذلك نسيت ما كان ينتظرها هو أقل من شهرين ، ربما كان ذلك لأن كراهيتها لفاليب دي زلفيرو ريثا شغلها تماما عن أى شيء آخر لهذا السبب وحده كانت ممنونة له ، ودفع ذلك الشعور بابتسامة آسفة بعض الشيء إلى شفيتها .

ونساءلت في فضول عما كان يمكن أن يكون رد فعله لو أخبرته إن استغراقها بالتفكير في كراهيتها له ، أبعد عن ذهنها كونها سموت قريبا ، هل كان ذلك سيؤثر فيه حقا ؟ الماركيز دي ألفيرو ريثا كان شخصا عظيما حتى أن مأساة كارول لا يمكن أن تعني إلا القليل جدا لديه . وفيليب ؟ اذا عرف كيف كان سيتلقى الخبر ؟ هل كان سيحتويها بين ذراعيه ويقنعها بقبالاته التي أحببها كثيرا فيما مضى بأن يتزوجا ليعيشا معا الشهور القليلة المتبقية في سعادة كاملة ؟ أحببها فيما مضى ! وجذبت نفسها بوحدة من لغة أفكارها . هل بدأ حبها لفيليب بخير ؟ هل لهذا السبب كانت صورته في مخيلتها غير واضحة ؟ قد يكون ذلك لأنها أرغمت نفسها أن تسيطر على تفكيرها فيه . أو من ناحية أخرى أن ذلك اللقاء الأخير معه حطم بعض الذكريات الزائفة والآن كما قالت نيسا ، بدأ الانبهار يتلاشى . ومن جديد قطع صوت فاليب عليها حبل أفكارها اذ قال :

« إن لك وجهها شديد التعبير يا آنسة كارول ، وهو يفصح بوضوح عما تشعرين به ، أفنكارك الآن لم تكن سارة »
« كنت أفكر في أبي »

« وهل ذلك سببا لعبوسك ؟ »
« فكرة فقدته تؤلمني »
« هل كنت شغوفة به ؟ »
« بالطبع »

وبدت في دهشة لسؤاله بينما هز هو كتفيه وقال :

« هناك أحيانا أناس لا يعترفون بمشاعرهم نحو آبائهم »

« كنا سعيدين للغاية معا . وكانت نهايته مفاجئة ، عدت إلى البيت ذات

يوم لأجده ساكنا على مقعده .. في .. في البداية ظننت أنه نائم »

وقطعت كلامها واعتذلت في جلستها متذكرة مع من كانت تتحدث قد لايعينه أن يسمع عن الحياة العائلية العادية للغاية لأسرة كارول واستطردت تقول بطريقة رسمية : « إنني آسفة يا سنيور لأبد أنني أثقلت عليك ، نسيت وركت أفكارى تسرح »

« بالضبط ... نسيت من أكون ، ونسيت أيضا كراهيتك لي ، أنت مخطئة

إنني أحب أن أسمع عن أهلك في انكلترا »

« كنا نعيش حياة عادية للغاية ، لأعتقد أنها يمكن أن تثير اهتمامك »

« إنك لاتعرفين على الإطلاق ما يثير اهتمامي »

وقطعت كارول جبينها وقالت لنفسها :

حسنا جدا أنت تريد ذلك . ويتأن مدروس حدثته عن ذلك البيت الصغير في الضواحي وعن عمها العانس التي تولت تربيته والتي لم تكن تفهم أبدا لماذا كانت تعتلي شجرة التفاح وتجلس فوق أحد فروعها لتقرأ كتابا في حين كانت تستطيع أن تكون أكثر راحة لو أنها اختارت مقعدا .

ورماها فاليب بنظرة مبتسمة مفاجئة وقال : « أنا أفهم إن روح المغامرة

كامنة هناك عندما يجلس الشخص فوق غصن الشجرة غير المريح »

وأضافت كارول عابسة : « وأيضا عنصر الخطر فأننا لم أكن أبدا متسلقة ماهرة ، كنت في رحلتي الصعود والهبوط أتعرض للسقوط بهلايس ممزقة وكان على العمة إيشيل المسكينة أن تصلحها ، لايد أنني لم أقدر تعب غيري »

وسمعت كارول صوته يقول في غبطة :

« في يوم ما سأريك الشجرة التي اعتدت أن أقع من فوقها أنا »

ودهشت ، كان من الصعب تصور الماركيز دي ألفيرو ريثا كصبي صغير

يتسلق الأشجار ويسقط منها ، كان ذلك يجعله يشرا الأمر الذي مازال غريبا .
وقال فاليب بعد لحظة : « مأوصلتك الى فيلا فرانثيسكا واسف لعدم
استطاعتي البقاء هناك حتى لا تأخر عن موعد سابق ولكن جوليو يستطيع
العودة معي الى القصر والعودة بسيارتك »

وسمعت كارول رنة تهيب في صوتها حينما قالت :

« إنني اسفة على ما سيته لك من متاعب »

وقال بصوت مهذب : « لانتب على الاطلاق يا منيوريتا »

وحينما انصرف سألتها نيسا : « كيف وجدت المدينة ؟ »

وابتسمت كارول في لهفة وقالت :

« جميلة وقد تأثرت بأغرائها حتى أنني أحضرت معي تذكارا لها »

وأشارت الى العقد الذي كان يحيط عنقها . ثم خلعتة وناولته للسيدة المسنة
وراقبتها وهي تتفحصه باهتمام ثم قالت نيسا :

« كنت محظوظة ، أعتقد أنه صناعة شرقية يدوية قديمة ، ربما يكون وصل
الى هنا منذ سنوات عن طريق إحدى المراكب وإذا كانت الكتابة التي عليه
بالعربية فعليك أن تطلبي من فاليب ترجمتها لك »

وبدت الدهشة على كارول وهي تسأل : « هل يفهم العربية ؟ »

« له على ما أعتقد بعض العلاقات بليبيا » بالطبع لابد أن له علاقات متنوعة
اذ كان يبدو عليه ذا علاقات بكل أنحاء العالم وهو لابد أن يكون ملما بلغة
كل بلد له مصلحة فيها . إن ذلك يتناسب مع اعتداده بنفسه الذي لا يحتمل
وقالت نيسا وهي تعيد العقد اليها :

« كيف حدث أن ألفتيت به في لورنزيتو ؟ »

« ظهر في اللحظة التي وجدت فيها صعوبة في محاولة شراء العقد وتمكفل
بحل المشكلة لي . ثم أختضعتي لسماع بعض مزاحه التهكمي »

وقطعت كلامها وهزت كتفيها في سخرية ثم استطردت قائلة :

« ثم اكتشف إنني بدون مرافق وأنني قدت السيارة بنفسي الى المدينة ،
فأظهر استياءه لذلك بطريقته المؤدية اليادة »

« إنك تكرهينه حقا ... أليس كذلك ؟ »

« لا أستطيع مقاومة ذلك ... فبطريقته المبهذة الفاترة يقول لك ما يجب
عليك أن تفعله وفي العادة ينتهي الأمر بفرض رأيه ... إنه مغرور ومتعجرف »

ومتعجرف » وهزت نيسا رأسها وقالت : « كلا أنت مخطئة ، إنها ليست عجرفة
إن كبرياؤه غير مقصود ، يجب أن تتذكري أن أفراد أسرته كانوا أسياد هذه
الجزيرة منذ أجيال ، أما بالنسبة الى كونه متعجرفا فأعتقد أن إصدار هذا الحكم
عليه يرجع الى صفاتك أنت المتحررة »

« حسنا ، لا يهم اذا كنت أكرهه فان هذا لن يؤثر فيه بأي حال »

ولكنها أدركت أن نيسا كانت على حق فاذا يذكر المرء فخامة القصر ، من
السهل عليه أن يدرك لماذا لا يعتبر سكان الجزيرة سيد خواماما انسانا عاديا ولماذا
تغير وجه الشاب صاحب المحل التجاري عندما أقبل فاليب الى المتجر فلم يكن
في الحقيقة متعجرفا اذ ذلك ، ولا كان مغرورا . أدلت باعترافها الأخير بصوت
مرتفع فرففتها نيسا بنظرة غريبة ثم قال : « إنه غير مغرور على الاطلاق حتى
أنه لا يعتقد أن هناك امرأة ستجبه أبدا لذاته »

« ماذا تعنين ؟ »

« ببساطة يا عزيزتي فاليب مقتنع بأنه اذا سمح للحب أن يدخل حياته ، لن
يتأكد أبدا اذا كان قد قبل زوجا ثروته ومكانته أم لشخصيته فانه غير مدرك
أبدا لجاذبيته الجسدية »

« إنه مجنون ، ماعليه إلا أن ينظر في المرأة إنه أكثر الرجال جاذبية بين
جميع الذين رأيتهم »

وتنبهت الى نظرة نيسا المازحة واحتفن وجهها وعقبت قائلة : « هذا بغض
النظر عن كوني أكرهه فحتى أسوأ أعدائه لا يمكن أن ينكر أنه وسيم »

« منتهى العدالة منك يا عزيزتي حاولي أن تتذكري ذلك متى سمعته يسخر
من الحب المرة المقبلة . ليس من الطبيعي لرجل مثله أن يجعل الحب بعيدا
عن محور حياته »

« أعتقد ذلك ولكنه لم يوح الي قط بأنه الشخص الذي يمكن أن يخضع
للعواطف »

« كلا يا عزيزتي إنه طبيعي تماما ، وأيضا ، لكونه برتغاليا ، فانه سيفرط في
شعوره بالحب اذا وقع فيه أنني أرثي له »

« أما أنا فلا أرثي له ، فانه حتما بغطرسته المعروفة لن يترك للفتاة المسكينة
الفرصة للخيار »

كانت الدعوة الى الغداء قد وصلت من السنيورا أكواراس في اليوم السابق واكتشفت كارول أنه قلقه بعض الشيء. فهي المرة الأولى التي ستدخل فيه دائرة مجتمع خواماسا. ووقع اختيارها على ثوب من تلك الألوان ذات الذيل الفضفاض. وكان مصنوعا من التيل بلون الزرع الأخضر المناسب للون بشرتها التي بدأت تكتسب اللون الأسمر. ووضعت في قدميها صندلا أسود. وعادت الى نيسا. وسألتها: «كيف أذهب الى هناك؟ هل يسمح لي في هذه المناسبة أن أقود السيارة بنفسى؟»

«سيوصلك جوليو الى هناك، وسيبقى الوقت مع خدم الأسرة حتى يحين موعد رجوعك. انه يستمتع بتبادل الشائعات مع الآخرين.»

وكانت قبلا أكواراس عند منحني الطريق المؤدى الى لورنزيو، تتوسط مساحة من الأرض لانساي شيئا بالمقارنة مع تلك التي تحيط بقصر المركيز، ورغم أن القبلا نفسها كانت أكبر من تلك التي تشغلها نيسا، لكنها لم تكن تشبه في شيء القصر الفخم الجميل. وتقدم خادم بملابس رسمية يفتح باب السيارة، ثم ظهرت السنيورا نفسها وفي الداخل، قابلت كارول لأول مرة سيلستينا وماريتا أكواراس ووجدت نفسها تتفحص الفتاتين البرتغاليتين بعدما تم التعارف، لأنهما كانتا مختلفتين عن أى شخص قابلته من بل.

كانت سيلستينا، ابنة الأخ، أكبر الاثنتين، وحيث كارول بفتور. كانت فتاة جميلة، ذات ملامح نبيلة، وشعر أسود لامع مضموم كالأكليل فوق رأسها، وكانت تصرفاتها فائقة. هذه اذن هي الفتاة المتوقع أن تتزوج من فاليب. لقد كانا زوجين متلائمين.

والتفت كارول نحو ماريتا، ورغم رسمية اللقاء الأول شعرت بأنها الشخصية التي ستحبها. وكانت ماريتا تصغر ابنة عمها بسنوات قليلة، وليس فيها شيء من تكلف الفتاة الكبرى وكان هناك أيضا ماثويل كوريسينا، رجل أسمر نحيل، يبدو في أوائل العشرينات، ويكبر ماريتا بسنوات قليلة.

وعلمت ان فاليب والدكتور كارل كريستين مدعوان أيضا. وعندما ذكر اسم الأخير، أحسبت بشيء من عدم الارتياح، لكنه لم يكن يستطيع أن يكشف شيئا عنها... لأنها كانت لاتزال تحتفظ بالظرف الذي يحوى على التقارير الطبية وصور الأشعة. وبعد تبادل بعض الحديث سألت ماريتا: «هل ستدخلين فرعة الأزهار يأنسة كارول؟»

٥ - الغداء البرتغالي

بضعة أيام بعد حادث الرحلة الى لورنزيو وجدت كارول أفكارها تعود الى السنوات التي أمضتها في مستشفى سان كريستوفر. ولم يكن ذلك في الحقيقة أمرا مفاجئا، لأن البريد حمل اليها ذلك الصباح رسالة من جيني مارسدين. ورغم أنها استمعت بالرسالة لكنها اكتشفت أن أخبار سان كريستوفر، ونوبات العمل التي شغلت حياتها لفترة طويلة بدت غريبة وكأنها في عالم بعيد عن جزيرة خواماسا، وجوها المعطر دائما بروائح الثوابل والأزهار بدلا من رائحة الأثير المخدر وغيره من الروائح المألوفة في المستشفى. وفي الحال جلست تكتب ردا اذ كانت تعرف أن جيني ستحب أن تفرز عن وصف الحياة المتدفقة بالحبيوة في خواماسا، وبالطبع عن سيد خواماسا! وتسللت ابتسامة الى وجهها حينما قرأت ما كتبه وتساءلت عما يمكن أن يقوله فاليب لو أنه قرأ وصفها له، ورأبها الصريح عنه: كان من المحتمل أن يبهرق لو أنك رأيته، رغم أنه كان عليك أن تعتادي على طريقته المثيرة في التعامل وكأنه سيد الخلق جميعا، إنه لا يحب للمرأة أن تستقل، وأنا أحس يقينا أنه لا يحتمل منظر امرأة في زي أية مهنة، رغم اعتقادي بأنه لابد أن يسلم أن بعضها ضروري ويجب أن أعترف أنني أرتدي الآن الزي متمعدة مجرد إغاضته، اذ لاتوجد في الحقيقة ضرورة لذلك هنا. كما أن الأنسة بروتون تفضل أن ترائي في ملابس متنوعة. لكنه حتى حينما يكون مثيرا للأعصاب يستطيع أن يكون ساحرا في الوقت نفسه. وبالطبع نحاول النساء جذب نظره حيثما يذهب، وليس ذلك لثرائه فقط بل لأنه في الحقيقة جذاب لأقصى حد.

ونظرت الى ساعتها بعدما أغلقت الرسالة، وتبينت قرب موعد نذليك ساق نيسا. فقامت الى عملها وعلى وجهها علامات الرضى وقالت:

«نحسنت كثيرا مستطيعين السير بطريقة عادية بعد فترة قصيرة.»

« لا أعتقد أنني سمعت عن ذلك من قبل. »

وبصوت مرح قالت ماريثا: « انها مناسبة يجب أن تشارك فيها كل فتاة، فكل زهرة لها معنى، للبعض ستكون رقصة، والبعض الآخر هدية، أو شيئاً آخر، حسب الزهرة المختارة. قالت كارول مبتسمة: « تبدو تلك المناسبة شيئاً مسلياً... من الذي يحول الهدايا؟ »

« بالطبع فالليب. فهمت أنك قابله. »

وحتى عندما أكدت لها كارول أنها قابله، اكتشفت شحة تهكم ترحف إلى أفكارها. بالطبع فالليب. مالك كل خوامسا تقريباً. السيد المحسن الذي يخفي يدا حديدية خلف الفغاز الممعلّى لهدايا. ولبينت حينئذ أن سيلبستينا كانت تراقبها بالطريقة المتهمكة نفسها، فأشاحت عنها بسرعة، لتضبط ماريثا توجه نظرة خجولا إلى الشاب الأسمر.

« لم تقولي بعد يأنسة كارول اذا كنت ستدخلين قرعة جزيرتنا؟ »

وجهت سيلبستينا إليها هذا السؤال بصوت مائع. غير أن كارول أحست أن العقل الكامن وراء هاتين العينين الداكنتين، يعمل بشاغل فاق وقبل أن تتمكن من الرد انطلقت ماريثا قائلة: « ولكنك ستشتركين بالطبع... وربما فزت بالوردة الحمراء. »

وسألت كارول: « هل لها أهمية خاصة؟ »

فقالت سيلبستينا متسائلة: « ألا تنطق الوردة الحمراء بقصتها؟ انها رمز الحب. إنها تخول الفتاة الفائزة بها حق تقبيل من تريد. »

وبهت ابتسامة كارول، وحلت مكانها الابتسامة الأخرى المؤدية الخالية من الحرارة التي كانت تواجه بها دائماً من لا تطمئن اليه، كما كان شعورها نحو سيلبستينا في تلك اللحظة. وقالت وهي تحاول أن تسيطر على صوتها:

« وهل ترفض الهدية أبداً؟ »

وكان ماثوبل هو الذي تولى الرد وهو يرنو بنظرة خجول لماريثا:

« ان البرتغاليين ليسوا سلالة ترفض القبلات، يأنسة كارول. »

والتقطت كارول فجأة تعبير وجه سيلبستينا في تلك اللحظة. كانت تراقص على فمها الجعيل ابتسامة حاملة جعلت كارول تعتقد أنها لابد أن تكون قد فازت ذات مرة بالوردة الحمراء، وأنها قدمت قبلتها هدية إلى السنيور نفسه.

وسألت نفسها في حيرة: « ما الذي يعنيه لو أنه احتوى سيلبستينا أمكواراس »

بين ذراعيه، وأحني رأسه عليها؟ لكنها اكتشفت أن الأمر يعنيهها. فأقرعها ذلك، وأن قطع عليها التصادى في التفكير دخول فالليب نفسه. ورحبت به الفتاتان البرتغاليان بلفتها... سيلبستينا بصرور متحفظ وماريثا بصرور متدفق. وكان واضحاً أن ماريثا لم تكن تنظر إلى اناركيز علي الإطلاق باعتباره من المحتمل أن يصير زوجها، كما كانت تفعل سيلبستينا. ودارت أحاديث مهذبة متفرقة، وبدا فالليب قليل المسخرة. وربما أيضاً غير حيادي كما كان يبدو من قبل وفكرت كارول أن الفضل في ذلك يرجع إلى سيلبستينا. فقد اكتسب جمالها البرتغالي بريقاً زاد من ففتتها. وكان ذلك كافياً لأن يلين عتاد أي رجل. حتى لو كان نافرماً متباعداً مثل فالليب وكان فالليب لطيفاً إزاء ذلك النوع من المزاح. وكان على جاذبية لا تكاد تصدق.... وفجأة أحست كارول بالخزي من نفسها للمحة الضعف التي إصرتها. وكان واضحاً أنهم في إنتظار الدكتور كريستين الذي تبين أنه تأخر في المستشفى فقد يصل رسول يحمل للسنيورا رسالة اعتذار. يرجوهم فيها أن يقلبوا عذره، لأنه استدعى لحالة مستعجلة أو أنه سيحضر متأخراً ليقدم الاعتذار بنفسه.

وجللسوا أخيراً حول المائدة. ووجدت كارول الطعام غريباً. ولكنه شهيياً. وسألتها السنيورا:

« هل استمتعت برحلتك إلى لورنزيو. يا آنسة كارول »

وردت كارول وهي تتعاشى النظر إلى فالليب:

« استمتعت بها للغاية. »

« سمعنا أنك قدت السيارة بنفسك، ربما لم تعرفي بعد عاداتنا، واعتملت في نفسها رغبة شيطانية للمعاكسة لكنها تجنبت النظر إلى فالليب وقالت:

« أثيروت مخارقي للغاية. حتى أنني قررت أن أطيع في المستقبل وكما لاحظت بدون شك، فانجوليوي هو الذي أوصلني اليوم »

وقال فالليب بهدوء:

« لا أعتقد يا سنيورا أنك ممن يمكن إخافتهم. ربما يدعشني أنك قررت إطاعة التعليمات مع أنك علمت مصدها. »

وسألت سيلبستينا ونظراتها مصوبة نحو فالليب:

« ممن كانت التعليمات؟ »

« فقال:

« مني أنا. »

وفي الحال اندفعت ماريثا قائلة:

« أه... ولكن كل النساء لا يد أن يطعنك يا فالليب. »

أما سيلبستينا فابتسمت في ختور وحفظت مؤيدة الرأي، ولكن بطريقتها القديمة المألوفة التي كانت تشير غضب كارول.

وقال فالليب وهو ير ينظراته على كارول التي تشاغلته بالنظر بامعان في صحتها:

ليست كل النساء يا صغيرتي

وعادت ماريثا تذكرها بسؤالها قائلة بلكنة غريبة وإن حاولت أن تخرج الكلمات بنظامها الصحيح :

« لم نقولي بعد إذا كنت ستدخلين مباراة الأزهار ؟ »

ومن جديد أحست كارول بعينه الداكنتين مصوبتين نحوها تريان أبعد كثيرا مما يجب أي إنسان أن يرى ، وتبديان استحسانهما لاختيار ثوبها الأخضر ذي الحزام الأسود الضيق . كان في رأيها خيرا في نقد كل شيء حتى الحب ... وعلى الرغم من تأكيد نيستا ، كانت متيقنة من علمه بمدى تأثير الجاذبية الملامح السمراء على النساء . هذه الجاذبية التي كان يمكن أن تكون خطيرة لو أنه شاء أن يستغلها . وأجابت بعدما سيطرت على ارتباك ذهنها :

« سمعت عن المباراة ؟ »

وانسعت ابتسامة ماريثا الطقولية وقالت : « ربما تأملين في الورد الحمراء ؟ » وعلى فاليب وفي صوته رنة تهكم :

« الآنسة كارول استدعو ألا يكون القدر قاسيا معها الى هذا الحد »

وأجابت كارول : « من المؤكد أن القدر لن يضع مثل هذه الفرصة فيجعلها من نصيب فتاة انكليزية »

ورمقتها عيناه الداكنتان بنظرة استفزازية وقال : « للقدر طريقة في تقديم الأحداث غير المتوقعة ، ماذا ستفعلين إذا فزت بالوردة الحمراء ؟ »

« في الغالب سأناولها للفتاة التي تليني »

قالت سيلبستينا وهي ترمقها بغتور : « هذا ليس مسموحا به . إننا نسمع الكثير عن شجاعة الانكليز ، ربما تظهرينها في هذه المناسبة يا آنسة كارول »

« ربما ... سيكون علي أن أقبر وقتذاك »

وسألت ماريثا بسداجة : « ألا تحبين القبل »

وقالت سيلبستينا :

« إن الآنسة كارول تفضل وبدون شك النوع الانكليزي الفاتر »

وكان الحوار يدور بأدب وبشكل عادي ، ولكن كارول ظلت تحس بأن سيلبستينا تقصد أن تظهرها ضئيلة ، واستدارت لتواجه الجمال الأسمر مواجه

كاملة وقالت : « أعتقد أن كل شيء يعتمد على لمن تكون القبل »

ولكن ما الذي عليها أن تفعله لو شاء لها الحظ الخرافي أن تدخل القربى ونقوز بالوردة الحمراء ؟ كان فيليب هو الرجل الوحيد الذي تحب أن يشاهدها ،

ولكن حتى لو كانوا مازالا مخلوبين فمن العسير عليها أن تفعل ذلك علانية أما فكرة تقبيل أي رجل آخر فكانت مستحيلة ، وأفادت من شرود أفكارها على صوت فاليب يقول :

« أخرجتم الآنسة كارول ، والقبل كالحب أمورا لا تناقش في انكلترا »

وحدثت ماريثا في كارول وسألت : « مامي اذن الأشياء التي تناقش »

وردت كارول « موضوعات مختلفة فالحب ليس الشيء الوحيد في الحياة »

وقال فاليب : « ستخبركم الآنسة كارول أن الحب ضعيف يجب السيطرة عليه بل وحتى تجاهله »

ومن جديد أحست كارول بنظرة سيلبستينا الفاترة المنطوية على الاحتقار مصوبة نحوها إذ قالت : « ولكن الانكليز اذن لا يفهمون الحب يا فاليب ، إنهم قطعاً لا يعرفونه كما نعرفه »

وتدخل مانويل الصامت في الحوار قائلاً في ابتسامة ودودة :

« ربما تعلم الآنسة كارول الحب في خواناسا »

« من يدري ! قبل لي أن الحب شيء يشير الاضطراب في اللقاء الأول ، ثم ينمو أقوى وأقوى حتى يصبح نارا مشتعلة تلتهم كل شيء في طريقها »

وقال فاليب معلقاً على كلامها : « لك ذاكرة جيدة »

ثم أضاف محذراً : « هل تذكرين أيضا أنني قلت أن حبك الانكليزي قد لا يكفي إذا أقمت طويلا في خواناسا ؟ »

« أذكر يا سنور ، وفي أية حال لا أعتقد أنني سأهتم بمثل هذا النوع من العاطفة »

« ألا تهتمين بالحب ، ولكن احترسي فليس من الحكمة أن تتحدى القدر بمثل هذا الجموح »

وضحكت سيلبستينا بتهكم ناعم وقالت « الانكليز جبناء في مواجهة الحب »

وبحثت عينها عن موافقة فاليب بابتسامة متوسلة ، وسألت بالبرتغالية :

« أليس ذلك صحيحا يا فاليب ؟ »

أجاب : « ربما يظهرون شجاعتهم بعدم الزواج على الإطلاق »

ورمي كارول بنظرة استفزازية وسأل : « ألا توافقين يا آنسة كارول ؟ »

وأومأت كارول بالموافقة مصممة على ألا تظهر أنها ليست غريبة على شجن الحب . وقالت لتتفاداه معتقدة أنها تخلصت منه بمهارة :

« إننا معشر الانكليز متعلقون بوطننا للغاية ونعرف التزاماتنا نحو أمتنا »
ورافقها فاليب قائلا بسخرية المعتادة :

« بالطبع ، إنها صلاية الانكليزية العنيفة . وهي تستحق الاعجاب »
وقالت سيلستينا بصوت واهن :

« الملاحظ أن الموضوع صار مملا بالنسبة للآنسة كارول »

واستدارت صوب كارول وأضافت قائلة : « يبدو أنك ممرضة »

وقبل أن تتمكن كارول من الرد صاحبت ماريتا : « أنت ممرضة ؟ من
المؤسف إذن أن الدكتور كريستين وآخر ، ستجدان الكثير لتحدثنا فيه معا »
وتصادف أن نظرت كارول الى فاليب في هذه اللحظة فلاحظت أن الفكرة
لم تلق قبولا لسبب ما . وجعلها ذلك تصمم على لقاء هذا الدكتور كريستين
إذا استطاعت الى ذلك ميلا . وقالت بسرعة : « أحب أن أقابله »

غير أن غيبطتها الماكرة وهي تتحدى عدم رضا فاليب الصامت سرعان
ما تحولت الى رجفة غريبة في أوصالها عندما تحت تعبيرة النافر . وقالت لنفسها
: ماشائه هو ؟ ربما كان سيد خواماسا . ولكن كارول ليست إحدى رعاياه ،
وبعد تناول الغذاء وجدت كارول أن رغبته في لقاء الدكتور كريستين
مستحق بأسرع مما توقعت ، فبعد انتقالهم الى غرفة مجاورة ظهر رجل نحيل
أشقر متوسط الطول ، ولم تكن بحاجة الى مراسم التعارف لتدرك شخصية
القادم . فبذلك الشعر الذهبي والعينين الزرقاوين اللامعتين ، مع اللكنة الألمانية
الجذابة ، ما كان يمكن القادم غير الدكتور كارول كريستين ، الطبيب
السويسري ، وأحست نحوه بالتعاطف بالسرعة نفسها التي أحست فيها
الكراهية نحو فاليب والنعنى لنحيتها قائلا « سمعت إنك ممرضة يا آنسة كارول »
« أجل يا دكتور »

وأحست كارول كأنها في مستشفى سان كريستوفر حيث تظهر الممرضات
للأطباء غاية الاحترام . ويبدو أن شيئا من أحاسيسها ظهر على سلوكها إذ
ضحك الطبيب السويسري مازحا وقال : « هذا واضح للغاية ، ولكنني أرجوك
ألا تعامليني كأحد أطباء مستشفىك في لندن »

وحول نظره الباسمة نحو الآخرين واستطرد قائلا :

« ممرضات مستشفيات لندن أحيانا يخفنني بصلاتهن وانضباطهن »

وضحكت ماريتا بصوت مرتفع وحتى السنيورا سمحت لنفسها بالابتسام .

وظلت سيلستينا غير مبالية . ولم تجرؤ كارول على النظر الى فاليب ، إذ
شعرت بالألفة نحو كارول كريستين ولم تكن تريد أن يفسد عليها فاليب
بتهمكها شعورها هذا . ونساءت كارول ، لماذا بعض الصداقات يبدأ بمتهمي
السهولة ويدون أدنى تعقيد ؟ أدركت بغريزتها أنها هي والدكتور كريستين
سببجان صديقين . وأحست براحة واطمئنان لهذا الاعتقاد : صديقان لا
أكثر يجمعهما إعجاب عميق لا يفقده أي شيء آخر . وتنهت على صوت
الطبيب بسألها : « في أي مستشفى كنت تعملين ؟ »
« سان كريستوفر »

وعندما استدارت لتتظر اليه تعجبت لما ارتسم في عينيه الزرقاوين . كانت
هناك سحابة قائمة خيمت عليهما لحظة ثم لم تلبث أن انشجعت سرعيا حتى
أنها اعتقدت أنها كانت واهمة . وقال الدكتور كريستين وقد تلاشى أثر تلك
اللحمة العابرة وانحرفت النظرة المبررة من عينيه : « أعرف مستشفى كريستوفر
ولكن يجب أن تزوري مستشفانا في لورنزيتو يا آنسة كارول »
« سيسعدني ذلك للغاية »

« سنجدين المستشفى في لورنزيتو مختلفا كثيرا بدون شك عن سان
كريستوفر . هنا لا نجد النظام الدقيق الذي يوجد عندكم . إنك تفهمين ...
فمن الصعب جدا الحفاظ على ذلك النظام في الأجواء الاستوائية »
وفجأة ارتفع صوت فاليب متدخللا في المناقشة وقال :

« إن الآنسة كارول لن تعتبر ذلك عذرا يا عزيزي كارل »

واكتشفت كارول اختفاء توترها بمذليل واستمتعت بوقتها متنامية تماما
نظرات ماريتا المتمعنة المتهيجة التي كانت توجهها اليها والى كارل ، وأيضا
مابدا من عدم ميالة فاليب الذي لم يقترب منها ثانية .

وحين عادت كارول الى قبلا فرانثيسكا ، سألتها نيسا :

« هل استمتعت بوقتك يا عزيزتي ؟ »

« الى أقصى حد »

وألقت بقفازيها وحفية يدها البيضاء فوق المنضدة قبل أن تستدير لتواجه
نيسا من جديد قائلة : « لم يكن الأمر مخيفا كما نخيلته »

« ما رأيك في الفتاتين ؟ »

« حسنا ، كان واضحا للغاية سأحب ماريتا ولكنني لأستطيع حقيقة أن

أزعم أنني أهتم بسياسيتنا * * كذلك أنا ، وبذا يمكنك أن تتكلمي بصراحة . أظن أنها كانت تحاول أن تجذب فاليب بطريقتها المألوفة المعتادة *
* أعتقد زنهما سيكونان متلائمتين *
ولم تحاول كارول أن تعلل ما اجتاحتها من شعور غريب بالضيق ، واستمرت تقول : * الثقيت أيضا بالدكتور كريستين *
* أستنتج إنه أعجبك *
* إنك تجعليني أبدو مغرورة وهوائية للغاية . لأنني لم أستطع مقاومة كراهيتي للمباركيز تماما كما لم أستطع مقاومة إعجابي بالدكتور كريستين *
وسكنت لحظة وقطعت جبينها شاردة ثم استدارت لتتأمل إلى نيتسا مباشرة وقالت : * ماذا حدث له يا آنسة بروتون ؟ *
* ماذا تفصلين ؟ *
* لماذا تبدو في عيني أحيانا نظرة قاتمة ؟ إنه يحاول أن يخفيها ، ولكنها تظهر بين الحين والآخر *
* إذن فقد لاحظتها ؟ *
وقطعت كلامها وهزت رأسها قائلة : * لأعرف يا كارول . كثيرا ما ارتبت في أن شيئا قظيما حدث له قبل أن يأتي إلى هنا *
* وكيف حدث أنه جاء إلى مكان مثل خواماسا *
* فاليب أحضره بعدما تقابلا في سويسرا *
ورمقت كارول بنظرة حادة وعادت تقول : * هذا سر . في الواقع كارل لم يطلب مني عدم اللوح به لكنني لا أعتقد أنه يريد أن يعرفه الكثير من الناس . لقد كان يمارس المهنة في لندن لفترة من الوقت *
* تكهنت بذلك عندما تحدثت عن سان كريستوفر *
وأومات نيتسا واستطردت قائلة : * من الواضح أن شيئا ما حدث في لندن جعله يقرر اعتزال مهنته ، فعاد إلى وطنه ودفن نفسه في قرية جبلية صغيرة ، ثم وجده فاليب هناك وأتى به إلى خواماسا ، وعهد إليه بمهمة إقامة مستشفى حديث هنا . كان يبدو في ذلك الحين متحفظا للغاية وشديد المراقبة *
ومن جديد سكنت عن الكلام وعيشت وعادت تقول :
* لكنه بالتدريج خرج من قوقعته وبدأ يضحك من جديد ، ولكن أنا كان ما حدث ومهما كانت طبيعته فإنه مازال كما كان هناك في عقله *
- ٥٨ -

* أعرف ، رأيت ذلك عصر هذا اليوم إنه يحاول جاهدا أن ينسى وأن يكون مرحا ويكاد ينجح ، لكن شيئا ما يتغزه من الداخل *
وحينما سكنت عن الكلام أخذت تفكر في حبها لفيليب . لو لم تكن هناك حادثة هل كان ذلك سيكون حالها : محاولة النسيان والتظاهر بالمرح ؟
ولكن كيف يمكن أن يكون الأمر كذلك ؟ كانت تحب فيليب ، زحيتها دائما ، ذلك كان شيئا يلازمها دائما ، كان جزءا من حياتها . وزفقت من سرورها على صوت الأنسة بروتون تقول : هل هناك شيء يقلقلك يا عزيزتي ؟ *
* كلا ، ما من شيء هام *
هل كان ذلك حقيقيا أن حبها لفيليب لم يعد هاما ؟ كان ذلك مستحيلا فمنذ فترة قصيرة ، كان محور حياتها كلها ما الذي يمكن أن يحدث هذا التغيير ؟ وقالت لنفسها من جديد إنها تحب فيليب . لكنها تخبرت من أمر حبه وأحست لذلك زحوا الفتنة منذ أسبوع . وبعد حوالي أسبوع جاد كارول إلى القبلا زائرا وعندما ميزت كارول لكنته الألمانية ، أسرع بالدخول إلى الغرفة لتسمع نيتسا تقول : * تعال يا كارول ، كيف الأحوال في المستشفى ؟ *
* لست مشغولا كثيرا ، لكنني مضطر إلى البقاء على قرب حالة مرضية غامضة عندنا ولولا ذلك لجئت لرؤيتك من قبل *
ولمخ كارول وابتنسم قائلا :
* في أي حال عرفت أنه لديك مرضة قديمة نزعك لذلك لم أفلق عليك *
وردت له كارول ابتسامته وقالت : * شكرا يا دكتور كريستين *
وكانت ترتدي زيهما الرسمي وانجھت نظره الأسفة ناحية عطاء رأسها الأبيض وقال : * نادني كارول من فضلك وإلا فإنك بهذا الزي الجامد تشيبن في هروبي فزعا *
وضحكت كارول وتقلت نيتسا بصرها بينهما في رضا إذ كانت تحب أن ترى ممرضتها الشابة مبتسمة وسعيدة وكانت تحس أن في أعماقها شيئا مختلفا هذا الصباح ، واستدار كارول نحو كارول من جديد وسألها :
* هل تستمتعين بإقامتك في الجزيرة ؟ *
* إنني مستمتعة بها لأقصى حد *
وانحنى فوق ساق نيتسا يفحصها وقال بدون أن يرفع بصره :
* هذا ممتاز هل ستبقين طويلا ؟ *
- ٥٩ -

« أكثر قليلا من شهر »

وأجست في الحال بعدى قصر المدة المتبقية لها . لم تكن تظن أن الوقت سيمر بتلك السرعة فقد مر شهران من الثلاثة التي حددت لها حتى الآن وربما لا يكون المتبقي شهرا كاملا . حذروها من أن المدة قد تكون أقصر . وقطع كارل حبل أفكارها قائلا :

« من المؤسف أنك لا تستطيعين البقاء مدة أطول »

« علي أن أعود الى انكلترا »

وانتصب قائلا :

« ليس هنا ما أستطيع أن أفعله ، فممرضتك تعطني بك الى أقصى حد »
« والتفت لحظة ناحية كارول وظل يتحدث معها في أمور تتعلق بساق نيستا وحالتها الصحية العامة ثم ابتس لنيستا قائلا :

« معذرة لفرض حديث علمي عليك »

« لاداعي للأسف على الإطلاق فأنني وجدت المناقشة مسلية حتى ولو لم تكن لدي أدنى فكرة عما تدور حوله ، أعتقد أن علي أن أقوم بتأليف كتاب عما يدور عامة في خواماسا »

وسألت كارول فجأة : « وهل ستكون للقصة نهاية سعيدة ؟ »

ورمقت نيستا عينيها ثم ابتسمت بطريقة تخفي الحزن في طبقتها وقالت :

« أجل يا عزيزتي ستكون لها نهاية سعيدة »

وبصوت مرح حاولت به أن تطمئن المرأة المسنة قالت كارول :

« بالطبع ستكون ذات نهاية سعيدة مادامت قصة خيالية »

وقال كارول بمرارة : « آه ، نعم ، النهاية السعيدة ، ولكن ذلك لا يحدث كثيرا في الحقيقة هناك أشياء عديدة تفسد تلك النهاية السعيدة »

إذا كانت هناك شيء ما يخلف المرارة القائنة التي كانت في عينيها !

وبتصميم قاطعته نيستا قائلة : « يا لها من مناقشة سقيمة تلك التي بدأتها ،

إنني أرفض الاستمرار فيها يا كارول ، دعنا نغير الموضوع في الحال »

ونغير مزاجه في الحال وقال :

« بكل تأكيد ، هل هناك موضوع يهمك التحدث فيه ؟ »

« حاليا أحب أن أشرب الشاي ولما كنت أعرف أنك اكتسبت عادة شره

في انكلترا فأنك تستطيع أن تنضم إلينا »

وقالت كارول :

« سأذهب لأساعد نيريز أنحشى ألا تكون ماهرة في اعداد الشاي »

وانسلت الى المطبخ وهي تدندن لنفسها بلحن أغنية شعبية برتغالية التقطتها من تيريز . إذ بدا أن أجواء خواماسا البرتغالية أثرت فيها بدون أن تشعر ، الأمر الذي كان سيحقق لغالب الكثير من الرضا ، ولاشك أنها لم تكن ضد تعلم بعض الكلمات البرتغالية أو التقطتها أثناء إقامتها في الجزيرة ، لكنها من ناحية أخرى لم تكن تريد لغالب أن يعرف ، لقد بدا لها ذلك كما لو كان خضوعا منها لإرادته المستبد . وحينما حملت صينية الشاي الى الحجرة ففز كارول ليأخذها منها ، ووضعها فوق المائدة ولاحظت عينيها تتجهان الى خصلات شعرها المتهدلة فوق جبينها وتبينت حينئذ أنها لم تثبت غطاء الرزس باحكام . وهمست معذرة ، وقال كارول ويريق في عينيها : « لاداعي للأسف ، لماذا تشدينه الى الخلف على هذا النحو ؟ إنه شعر جميل للغاية »

وكان هو ثاني رجل يقول الشيء نفسه ولكن على نفويض المرة التي سمعتها فيها من فاليب ، لم تضايقها الملاحظة وأجابت في حزم :

« لأنها الطريقة الوحيدة للاحتفاظ بسات الغطاء في مكانه »

وقالت نيستا متذمرة ، وإن بدا في عينيها بريق كانت كارول تعرف أنه بريق المشاكسة البريقة : « لأدري لماذا ترندينه ، في كل مرة يأتي فاليب ، أعتقد أنك تفعلين ذلك لأنك تعرفين أنه لا يحب المرأة في أي زي رسمي »

« إنه لا يحب المرأة في زي رسمي لأن ذلك يضيف عليها روح الاستقلال وهو لا يحتمل النساء المستقلات . أعتقد أنه يريد النساء جميعا مكتملات الأثونة والخضوع للرجال مثل نساته البرتغاليات المكسوات بالحرير »

وسأل كارول وفي عينيها نظرة دهشة تنطق بأنه هو أيضا لا يستطيع أن يتصور أحدا يكره فاليب : « ألا تحبين الماركيز ؟ »

وأجابه نيستا بجفاء « أليس ذلك أمرا واضحا ؟ إن كلا منهما بشير الآخر »

واعترضت كارول قائلة في شيء من عدم الارتياح :

« إنك لا تستطيع أن تقاوم كراهيتك لبعض الناس ، وإن كانت قد مرت بي فترات أوشكت خلالها أن أحبه »

أدلت باعترافها هذا بشيء من الامتعاض ، واستطردت قائلة : « في أي حال أعرف أنني من الشواذ فكل شخص آخر يبدو أنه يحبه لدرجة كبيرة »

قال كارول يهدوء : « إنه رجل كريم ، والمستشفى بدار كلية بفضل كرمه .
مرات كثيرة فكرت في أن معدّات ما قد تفيد المستشفى ولم أقدم على سؤاله .
لأنه قدم الكثير ، وبطريقة ما كان يعرف ، وإذا بالمعدّات تصل ، إنه يشغل
نفسه بكل شخص في الجزيرة ولا يسمح لأحد أن يتعذب . منذ فترة قصيرة
أصيب أحد الصيادين ولكنه لم يشأ أن يترك عمله من أجل أسرته واكتشف
المراكز الظروف . ولأحد يعرف كيف اكتشفها ، فأرسل الرجل إلى
المستشفى وظل ينفق على الأسرة حتى شفي ، وتوجد حالات أخرى كثيرة
مشابهة »

قالت كارول : « لا أنكر كرمه . ولكن له طريقة استبدادية لخد ما »
« إنها جزء منه . فأجداده كانوا ملوك خواماسا غير المتوجين لمدة أجيال »
ملك خواماسا غير المتوج . كان ذلك بالضبط هت تقييم الوضع .
قالت كارول مبسطة : « من الواضح إنك تحبه »
« كان طيبا معي للغاية . ولكن ليس لهذا السبب وحده أحبه »
وبعد انصراف الدكتور كريستين وانتقال نيريز في المطبخ انفردت كارول
بنيسا التي تنهدت قائلة : « إنني أحب الزوار ولكن يجب أن أعترف بأن
المجهود الذي أبذله للظهور مرحة ومشرفة بكلفني أحيانا الكثير »
« لا أعتقد أنك مضطرة إلى بذل جهد كبير إنك تقبلين عجزك باقتدار »
« ليس عندي إلا القليل يستحق التذمر »
وترددت ثم رمت الفتاة بنظرة سريعة وبعد ذلك انشغلت بفحص الحجر
الصغير الماسي في الخاتم الذي كانت تلبسه في يدها اليمنى . الخاتم الذي
كان يوما خاتم خطوبتها . وقالت بتردد :
« عندما يستحق الشكوى أكثر مني بمراحل »
« هل هناك ... هل بدأت ... »
وأكملت لها كارول عبارتها قائلة في صوت هاديء أدهشها :
« تقصدين هل بدأت الآلام ؟ . ليس بعد ، في الغالب لن يحدث ذلك
قبل مضي فترة شهر »
« شهر ! » وأطبقت نيسا صامتا ذاهلة زمام القدر المحتم .. ولاحظتها
الرجل . وأمر كت أن شيئا آخر يجول في خاطرها . لكنها انتظرت حتى
أخبرت نيسا أن تعلم من جديد .

وقالت :
« كارول . أعرف أن أحد أسباب موافقتك على المجيء إلى هنا معي أن
أحدا لن يعرف عن ... الحادثة ... ولكن ألا تترين أن كارول يجب أن يخبر ؟ »
« ليس هناك ما يستطيع أن يفعله . مازلت أحتفظ بالتقارير التي أعطيت لي
من المستشفى ولكنني لست مضطرة إلى إعطائها إليه إلا إذا رغبت في ذلك »
« إذا حدث ... فسيكون ذلك هو وقت اخباره »

الممكنة.

١ من قاليب كما أنهم؟
١ ومن غيره؟ انه يعطى لنفسه الحق في أن يتدخل في كل شيء.
٢ أعتقد يا عزيزتي أنك تتعبدين إثارته.
٣ تقصدين لأنني أرد على استفزازاته؟
واشتعل في عينها بريق حائق وهي تستطرد قائلة:
٤ أي شيء آخر كان مفروضا من فعله؟
وضحكت نيستا، ورفعت يدها وهي تتظاهر بالخوف. وقالت:
٥ لا تخملي في كارول.
سألت كارول: ٦ أي نوع من الملابس يلبس في هذا المهرجان؟
٧ المشكلة الآن فيما سوف ترتدينه في عيد الأزهار، ما رأيك أن نذهب ونفحص معا دولاب ملابسك؟

٨ سأحضر ملابسي الى هنا لئلا تزعجني نفسك.
وصعدت الى الطابق العلوي بسرعة، وفتحت خزانة ملابسها، وقامت محتوياتها واستقرت عينها على ثوب أسود مخملي طويل، ولاحث ابتسامة اسفة على وجهها، كان ذلك ثوبا لم تتوقع أبدا أن ترتديه، ولكن كان إغراؤه شديدا حتى أنها ابتاعته، فجرد أن تنظر اليه، وأن تلمس الخمّل الناعم، وتبينت حينئذ، وقد اعترضها صدمة خفيفة، أنه مماثل للثوب الذي كانت مورغانا - لو - فاي ترتديه في الصورة المنشورة في الكتاب. وابتسمت لنفسها وهي تعيد الثوب الى مكانه، وبدا لها حينئذ أن الثوب لن يرندي أبدا. وعادت الى محاولة انتقاء ما هو مناسب للعيد، واخيرا اختارت ثلاثة أثواب، وأخذتها معها الى نيستا. ورمقتها نيستا بنظرة مأكرة عندما دخلت، وقالت: ٩ لا بد أنك تملكين العديد من الأثواب، حتى استغرقت كل هذا الوقت في اختيار ثلاثة.
١٠ صحيح، إذ انفقت كل مدخراتي قبل أن آتي ثم أنني كنت أعدت ملابس عرسى.

واستطاعت أن تنطق الكلمات الأخيرة بدون أي اختلاجة في صوتها، لأن التفكير في قاليب لم يعد يؤلمها على الإطلاق. وتجاهلت نيستا موضوع قاليب، وركزت التفاتها الى الأثواب الثلاثة، غير مدركة أن قاليب أصبح في الحقيقة غريبا تماما بالنسبة الى كارول، وأنها صارت تعجب من تصورها أنها

٦ - الوردة الحمراء

لم تسمع كارول شيئا عن قرعة الأزهار، حتى ذكر الموضوع في فيللا أكواراس. ومنذ ذاك أخذت تسمع عنها كل يوم. وارتفعت في خواماسا حمى الانفعال والترقب. حتى تيزيز كانت تتحدث عن المرات التي اشتركت في هذه القرعة. ثم تزايدت تيارات المرح في لورنزيتو مع اقتراب موعد القرعة. وذات مرة، بينما كانت كارول في المدينة، شاهدت السيارة السوداء المألوفة التي تملو مقدمتها اشارة ربالثا، وبدوافع خفية تلفتت حولها بحثا عن قاليب. وعندما رآته خارجا من بناية مزخرفة واسعة مع سيلستينا، سرت قشعريرة في كيانها، حتى أنها هزعت بسرعة في الاتجاه المعاكس. كان رأسه الداكن منحني ناحية رفيقته الجميلة، ومن الواضح أنه كان لاهيا عن أي شيء آخر، وكان غريبا على قاليب أن يبدو على النحو العاطفي. لكن سيلستينا كانت خارقة الجمال، وقاليب كان يشرا على الرغم من تحفظه.

وانتهت كارول من شراء طلبات نيستا، وعادت الى سيارة حيث كان جوليو في انتظارها، وكان الاثنان الآخران قد اختفيا عن نظرها، لكن لم تكن من السهل أن تبعدهما عن ذهنها. هل كان قاليب سيتزوج سيلستينا؟ بدا أن ذلك كان متوقعا في الجزيرة، وما كانت سيلستينا لتبقى بعيدا عن وطنها البرتغال لو لم تكن هي الأخرى تتوقع ذلك، ولكن هل كانا متلائمين حقيقة؟ لم يكن ذلك في الواقع شأنها، لكنها عجزت عن مقاومة التفكير فيه. وعندما وصلت الى الفيلا، وجدت في انتظارها دعوة من ماريثا أكواراس لمرافقة الأسرة يوم قرعة الأزهار وأطلعت نيستا على الدعوة وسألتها:

١١ هل يصافقك أن ألبى الدعوة؟
١٢ كلا بالطبع.. لقدت أنا أيضا دعوة مثلها، مستجديتها خبرة ممتعة. ورمقت لمرضاها بابتسامة مأكرة وقالت: ١٣ وقد تختارين وردة.

١٤ لا سمح الله. حيدرولي من ذلك. واستدرجوني للتعبير عن ردود فعلي

أحبته. واستبعدت نيستا ثوبين بدون أن تنظر إليهما، رغم جاذبيتهما، لأن الثالث أستاذ باعجابها الكامل. وقالت: «بتصميم: هذا الثوب!»
وكان في صبرها من الاقتناع ما جعل كارول لا يتجادل في الأمر، حتى ولو لم تكن هي نفسها اختارته تقريبا قبل أن تقرر نيستا. وأمسكت بالثوب في اعجاب، وتفحصت تنويره المصنوعة من الحرير الأخضر الزمردى الثقيل، والجزء العلوي المصنوع من القماش الخفيف الأورغاندى الأبيض ذي السترة القصيرة المطرزة بالدانتيل. وبزغ فجر يوم الاحتفال مشرقا صافيا، شأن حالة الطقس في غواماسا، قبل موعد هبوب العواصف الشديدة، التي يضطر معها السكان إلى الاعتصام بيوتهم، وترك الجزيرة لعواء الطبيعة. وحفظت كارول مبكرة، وقدمت خدماتها المنتظمة لنيستا وساعدتها على ارتداء ملابسها، قبل أن تذهب لترتدي ثوبها الفضفاض، وقالت نيستا عندما رأتها:

«يبدو أنك مولعة بالتنانير الفضفاضة.»
وأعترف بأنني ضعيفة أمامها، والغالب أن ذلك رد فعل لارتدائي الزي الرسمي كثيرا.»
«ظننت أنك تحبين ارتداء زي التمريض، أم أن ذلك مجرد مضايقة فاليب؟»

«هل سيحضر المهرجان؟»

«بالطبع.»

واستدارت ناحية جوليو الذي دخل الغرفة متألقا في ملابسه الرسمية، وسألته: «هل السيارة جاهزة يا جوليو؟»
وأحتى جوليو رأسه ورد بالبرتغالية. وانكأَت نيستا على العصا، وخرجت السيدتان إلى حيث كانت تقف السيارة، التي انطلقت بهما في الطريق المؤدى إلى لورنزيتو. وكانت مظاهر العيد تبدو واضحة في الطريق. العربات التي تجرها الخيول، والسيارات القديمة المتداعية، وعربة تجرها البغال. ولوحت لهم الفتيات اللواتي ارتدين الثياب الزاهية، وقطائير الشرائط التي تزينهن مع التسمعات الرفيعة. وبعالت الأصوات تخييمهم في برتغالية ناعمة. وقالت كارول حينما دخلوا المدينة واخذوا يشاهدون معالم أكثر للعيد: «هذه إحدى المناسبات التي أشعر فيها بالندم لأنني لأعرف البرتغالية.»

وقالت نيستا: «هذا أمر مؤسف. لو أنك تعرفين فقط كلام الحب.»
ورفعت كارول حاجبيها، وقالت بجفاء: «لأظن أن هناك احتمالا لذلك.»

«إن ضيوف أسرة أكواراس سيكونون بكل تأكيد مجموعة كبيرة، وستضم واحدا أو اثنين غير مرتبطين، فكوني على حذر.»

ثم رتب نيستا برفق على ذراع كارول وقالت: «أتمنى أن تستمتعي بالاحتفال، هل تعتقدين يا كارول أنك تحصلين من بهجة الحياة على ما فيه الكفاية؟ لأريد أن أقولها، ولكن لم يبق إلا القليل.»

ولم تجفل كارول من الكلمات، وهزت رأسها قائلة: «أنا لست هنا للسياحة والتزهر، فقبل أي شيء آخر، أنا ممرضة، حتى ولو لم أكن أعمل إلا القليل، وفي أية حال، لم أشعر أبدا بالرغبة في نزوات عابرة، وأشك في أن يكون عندي الحافز لأبدأ الآن.»

اخرجوا المدينة إلى شارع الواسع حيث تركت كارول السيارة في زيارتها الأولى المشهورة، ولكن هذه المرة أوقفها جوليو في المكان المناسب. وعبرت كارول ونيستا الطريق إلى حديقة المطعم حيث كانت ستناولان الطعام مع بقية المدعوين إلى حفلة آل أكواراس. وكان مطعم ديسكاني أفخم مطاعم لورنزيتو وأشهرها وهو من طابق واحد على الطراز المغربي، الموائد موضوعة في الداخل حيث الأرض الرخامية، وفي الحديقة الجميلة التنسيق حوله، عناقيد المصاييح التي توقد في المساء تربط بين الأشجار، وعطر الأزهار والنباتات يفوح بين الموائد، وفي المؤخرة فرقة موسيقية صغيرة تعزف أنغاما ساحرة. ووجدنا آل أكواراس وضيوفهم حول مائدة كبيرة تحت شجرة مزهرة وكما توقعت نيستا، كان هناك عدد من الأغراب، ومنهم من كان في سن الشباب، وسرعان ما تعرفت نيستا بكل الموجودين، أما كارول فرغم أنها قدمت إلى الجميع، لكنها كانت متيقنة أنها لن تذكر الأسماء بعد ذلك... وشعرت براحة عندما جلست بجوار كارل كريستين، الذي حياها بما خصنت أنها اللغة الألمانية، ولم تستطع كارول أن تقاوم اغراء الرد عليه باللغة نفسها. وبدت راضية بما ظهر عليه من الدهشة. وهو يسألها: «هل تفهمين الألمانية؟»

«أفهم الألمانية وأتكلمها بطلاقة، ولكني لم أتبين تماما ما قلته.»

«كانت تلك الألمانية السويسرية. إنها معقدة قليلا.»

«أعتقد أنني فهمت ما تعنيه.»

ووجدت كارول نفسها تتأمل يديه الرقيقتين الماهرتين، كانت تميل إلى الحكم على الآخرين عن طريق أيديهم، الكثير كان يمكن معرفته بهذه

الطريقة، وربما باستثناء الحال مع فاليب. كانت يدا كارول تتحان عن يدي جراح، بالغريزة فطنت الى ذلك، ولكنه دفن نفسه في خواماسا، لماذا؟ ومن جديد عاودتها الأفكار، ان شيئا ما في ماضيه أرسله الى خواماسا لينسى. كانت متأكدة من ذلك، كما لم تكن كئيدة من أي شيء آخر مت قبل، وأفاقت كارول من تأمل يديه على صوته يسأل:

« ألم ترى مثل هذه الاحتفالات من قبل ؟ »
« كلا ... لم أر... ماذا يفعلون ؟ »

« بعد الغداء سنذهب لمشاهدة سباق قوارب الصيد، وستمنح جائزة لأسرع قارب يدور حول العوامة ويعود الى الميناء، وسيستغرق ذلك وقتا طويلا، لأننا ستلقى أولا نظرة على القوارب، وبعد ذلك سيحتفى بالفائز، وطوال هذا الوقت سنأكل أشياء متنوعة شهية، ولكنها عسيرة الهضم. ولذا لن نقبل على العشاء عندما يحين موعده. ثم لمعت عيناه حينما أضاف:

« أعتقد أنني بدلا من ذلك سأغازلك بالألمانية. »
« لن تفعل شيئا من هذا القبيل... وفي أية حال فأنا أفهم الألمانية. »
ثم انفجر الاثنان بالضحك في الوقت نفسه. وانجذبت الأنظار اليهما، وأحسّت كارول بحرج لاحتقان وجنتيهما، ربما كان ذلك بسبب نظرات سيلبستينا الاحصه الساخرة، اذ قالت وهي ترنو ناحية ماريثا بنظرة جانبية:

« يبدو أن ابنة العم الصغيرة على حق، الممرضة كارول والدكتور كريستين عندهما دائما الكثير من الأحاديث الطويلة التي تنير بهجتهما. »
قال كارل بشيء من الجراءة: « كنت أهدد بمنازلة الممرضة كارول، ولكنني اكتشفت أنها تفهم الألمانية مع الأسف. »
« وهل هذا شيء يندم عليه ؟ »

وكان السؤال من شاب أسمر نحيل، يجلس على الطرف الآخر للمائدة. وتذكرت كارول أنه قدم اليها باسم ريناتو ألدور. واستطرد الشاب قائلا:

« أنا لأحب أن أغازل واحدة لانفهمني. »

قالت ماريثا: « ولكنه وضع يمكن اصلاحه ياريناتو. »

« هذا صحيح... يبدو أنك في حاجة الى معلم للبرتغالية ياآنسة كارول. »
ورمقته كارول بنظرة متوجسة، غير متأكدة من جدية، ولحمت في عينيه الداكنتين شبح ضحكة، وصار الموقف أكثر وضوحا عندما مالت الفتاة التي

كانت تجلس بجانبه الى الأمام، وابتسمت لكارول قائلة: « يجب أن أحرك من أخفى ... انه يجيد ما تسمونه فن الدعاية. »
قالت كارول وهي ترمي الضحكة تعمق في عيني ريناتو:

« ظننت ذلك بالفعل ! »

فقال هو على الفور: « ومع ذلك فانها دعابة يمكن أن تؤخذ بجدية، هل ترغبين في تعلم البرتغالية ؟ »

وقبل أن تستطيع كارول الرد استدارت سيلبستينا الى ريناتو وقالت بصوتها الأجنش المتعالي: « أعتقد أنك تجعل الآنسة كارول لاهثة الأنفاس بعض الشيء إنها إنكليزية ومعتادة على التعارف البطيء الخطوات »

كانت كارول تكاد تمسك بلسانها داخل فمها لكيلا تنطق ثم تطلعت بنظرة ضاحكة في عينيها، لم تجعل ريناتو يشك في صدقها حين قالت: لا أعتقد زنتي زمستطيع القبول لأنني سأترك الجزيرة بعد أسابيع قليلة »

فابتزت ماريثا قائلة: « هذا موصف للغاية ألا يمكنك تغيير رأيك والبقاء ؟ »
« عن قريب لن يكون لدي ما أعمله فقد استجابت ساق الآنسة بروتون للعلاج على أحسن وجه وعملي القديم في انتظار عودتي »

« هل يجب أن يكون عملك في مستشفى في انكلترا ؟ إنني على ثقة بأن الدكتور كارل يحتاج الى المزيد من الممرضات في مستشفى. »
قالت سيلبستينا:

« ربما لم تتبين أن الآنسة كارول متعلقة بوطنها أكثر من تعلقها بجزيرتنا »
وأجابت كارول وهي تتساءل عن سبب معاملة سيلبستينا لها على ذلك النحو الذي ينم عن كراهية:

« ليس بالضرورة. كنت أحب أن أبقى في خواماسا لو كان ذلك ممكنا »
فسأل كارل: « لماذا إذن لا تقدمين على ذلك ؟ إن ماريثا على حق فاننا بالفعل بحاجة الى المزيد من الممرضات في المستشفى »

واجتاحتها موجة شجن في ظروف أخرى ما كانت لتتردد في قبول هذا العرض الآن لم يكن أمامها خيار كان عليها أن ترفض ويهدوء قالت:

« إنني أقدر العرض وكنت أحب حقيقة أن أبقى لكن توجد أسباب شخصية تختم عودتي الى انكلترا »

وبعد الغداء اتجه المدعوون الى الداخل للجلوس في غرفة فاخرة الثاثير

يشربون القهوة على أنغام الموسيقى حتى تخف حدة شمس منتصف النهار .
وكان الحديث خلال ذلك يدور متقطعا ، لكن بعد فترة استرد الجميع
حيويتهم من جديد وبدؤا التحرك في اتجاه السيارات . وأثناء الخروج اقترب
كارل من كارول وأحس رأسه الأشقر ليتكلم معها قائلا :
« عهد الي بمهمة مرافقتك ، هذا اذا لم أستدع الى المستشفى ، أرجو ألا
يضايقك ذلك »

« على الاطلاق ، تمنيت أن تكون أنت وليس ريتانو أو واحدا من
البرتغاليين المندفعين »
ولحقا ببقية المدعوين الى حيث نصبت خيمة حديثة ، رصت فيها المقاعد
للسيدات ، اذ شغلت نيسا بالتحدث مع السنيورا ، لمحت كارول ماريتا وماتويل
عن طريق الصدفة يتسللان خارجين معا . ومن نظرة عين كارل أدركت أنه
هو أيضا لاحظ ذلك وقالت له :

« كنت أظن أنه غير مسموح لهما بالتجول وحدهما »

« في يوم العيد يسمح بتخطي التقاليد الى حد ما »
وأشارناحية قوارب الصيد الراسية على الشاطئ وقال :
« هل نلقي نظرة على القوارب ونحاول أن نقرر أيها سيفوز »
وأومأت كارول بالموافقة وافترقا عن الباقيين وانضموا الى جموع الناس
المتجهة الى الشاطئ وسألها كارل : « أين تعلمت الألمانية ؟ »
« بعض دراستي يرجع الى المدرسة ، وبعضها الى أبي ، وبعضها الى ممرضة
ألمانية في سان كريستوفر ، لأدري حقيقة لماذا تعلمتها »
« خاصة لتقابليني »

« بالطبع »

« وانفجر الاثنان ضاحكين من جديد .
« أعتقد أن أحد اسباب إعجابي بك يا كارول شعوري بأننا سنكون
صديقين حميمين بدون أي تعقيدات أخرى »
« تقصد أن أحدنا لا يمكن أن يقع في حب الآخر ؟ »
« إنك جذابة للغاية ، وفي يوم ما سوف يحبك شخص ما ، ولكن ذلك لن
يحدث لنا ، سنكون مجرد صديقين »
« هذا أحد الأشياء التي أحبها فيك أيضا شعرت بالشيء نفسه منذ التقينا »

« هذا رائع ، هل نذهب الآن لنلقي نظرة على القوارب يا عزيزتي ؟ »
ونطق الكلمة الأخيرة بالألمانية ورغم ذلك اللفظ العاطفي أحست كارول إنه
استعمله بمعنى الصداقة وشعرت بفيضة وهي تسير معه وقال كارل :

« أعتقد أن هذا القارب سيفوز »

وهزت كارول رأسها قائلة : « كلا ! »

ثم أجالت بصرها فوق طابور القوارب واستقرت بهما على واحد بعيد وقالت

« بل هذا يبدو الفائز »

وفحص كارل بدوره القارب الذي أشارت اليه وقال : « لا أعتقد ذلك ! »

وأشار الى الاسم المرسوم على جانبه واستطرد قائلا :

« كيف يفوز قارب له مثل هذا الاسم ؟ »

« بل إنه سيتطلى مثل الريح ، هذا هو الفائز »

« بماذا تراهنتين ؟ »

« نصف ذبذبة مشارط يا دكتور »

« آه ، إذهي بعيدا عني أيتها .. أيتها الممرضة ! »

« بكل تأكيد يا دكتور »

وخطت كارول الى الوراء قبل أن يستطيع كارل إيقافها وكان وجهها مشرقا
واقفا خلفهما واستدارت باعتذار على شفيتها ووجدت نفسها تنظر مباشرة في
عيني فاليب . ولمدة لحظة جعلها الارتباك تتأخر عن الاعتذار ثم قالت :

« إنني آسفة يا سنيور ، لم أكن أدري أنك هنا »

« وكيف كان لك أن تعرفي وقد وصلت لتوي ؟ »

وكانت لهجته عادية وحينما نظرت بسرعة الى وجهه كان التحفظ منعكسا
عليه . وقال كارل : « وصلت يا فاليب في الوقت المناسب فاني أظن أن
كارول كانت على وشك أن تهجرني »

واستدار فاليب لينظر الى كارول التي أخذت تنكمش تحت وطأة نظره
الغامضة المقنعة وسأل : « لماذا تريدن هجر صديقتنا الطيب كارل ؟ كنتما
منذ لحظة وجيزة منسجمين ، أعتقد أنكما كنتما تتحدثان بالألمانية ؟ »

وأومأ كارل قائلا « كانت مفاجأة سارة أن أكتشفت كارول تعرف الألمانية »

وقال فاليب : « أنت محظوظ في ذلك يا صديقي ، فقد أكتشفت عزوفها
عن البرتغالية ، أليس ذلك صحيحا ؟ »

والقى بنظرة جانبية نحو كارول يستغرها بها لأن تنكر صدق تعليقه ، وردت
هي بأدب : « ليس الأمر كذلك تماما يا سنيور ، لكنني فكرت في أن الأمر
لا يستحق تعلمي البرتغالية مادمت لن أبقى هنا إلا أسابيع قليلة »
وهزت كتفيها وأضافت : « مجرد مصادفة أنني أعرف بعض الألمانية من قبل »
وتدخل كارول ليغير موضوع الحديث كما لو أحس بالعداوة التي بين
الاثنتين ، وقال : « كنا نحاول أن نحدد القارب الفائز أي واحد تختار ؟ »
ونظر فاليب الى طابور القوارب وأشار ناحية احدها وصاحت كارول تلقائيا
بانتهاج ناسية أن الماركيز دي ألفيروريالتا كان بجانبها .

« إنه أيضا اختياري ! »
والتفت كارول ناحيتها قائلا : « سأحصل على المشارط ! »
أجابت وكأنها ترد الهجوم ، وقد عادت اشراقة المرح الى وجهها :
« لن نحصل عليها ! »
ورفع فاليب أحد حاجبيه الداكنين في دهشة كما لو لم يكن قد رآها من
قبل على مثل هذه الحالة ولأول مرة ابتسم كأنما مرحها سرى اليه وقال :
« يبدو يا كارول أنك يجب أن تعترف بالهزيمة فأنت تعارض غريزة جنس
ينتمي أصلا الى البحر »

« يبدو ذلك بالفعل ، مادمت أنت أيضا اخترت هذا القارب »
وساد صمت متوتر ، صمت غير مريح بالنسبة الى كارول اذ كان من
الحقائقي المعروفة أن البرتغاليين أيضا ينتمي أصلهم الى البحر ، وبدت هذه
الحقيقة رابطة تجمعها بفاليب وقد كانت متأكدة أنه أمر لايهتم به .
واختلست نظرة نحوه بعد لحظة ، وفوجئت ببريق ماكر في عينيه ينم عن أن
الفكرة نفسها ساووته لكن بطريقة مختلفة وسمحته يهمس في نغمة : « يبدو
أنك ضد إرادتك مرتبطة بالبرتغال ولكن لا تقلقي فالرابطة كانت في الماضي »
ونزلت قوارب وسط ضجيج متفعل هائل ، بدا كأنما الجميع يصرخون في
آن واحد للتشجيع أو لجرود التأثير بحمي الاحتفال . وأخذ الصيادون الذين
لفحتهم الشمس يحاولون شق الطريق لقواربهم ، وقد وضعوا فوق رؤوسهم
الأغطية الصوفية ، وفي الوقت نفسه يحاولون السيطرة على مجموعة أطفال
ينبحون نحو القوارب أخيرا ، واتجهت نحو العوامة التي كانت ترى غير واضحة
عن بعد . وبدا القارب الذي اختارته كارول مطابقا لأسمه البرتغالي (أي أنه

يعرج) خلف القوارب الأخرى ، ونظرت اليه في قلق ، أما القارب الذي اختاره
كارول ، فكان في المقدمة . وقال كارول ساخرا : « ماقيمة الغريزة الآن ؟ »
وأجاب فاليب رغم أن السؤال كان موجها الى كارول :
« انتظر وانظر يا صديقي ، مازال هناك وقت ، نحن ابناء الأصل البحري
نستطيع أن نختار سفنتنا . »

وكان وهو يتكلم يرنو ناحية كارول بابتسامة خالية من التهكم ، الأمر الذي
جعلها ترد له ابتسامته برضى وارتياح . وكان منظرا جذابا يراقبونه ؛ زرقة المياه
المتألقة بقسم أمواجه البيضاء ، والسماء اللامعة بشمسها الذهبية العظيمة ،
وقوارب الصيد تتقدم الى الأمام تلاحقها صيحات التشجيع من الشاطئ ،
حتى في الخيمة ، نهض البعض من صفوة المحافظين ليروا الفائز ، الذي كان
سيلقى التذكارات التقليدية المنصوع على هيئة سمكة فضية كبيرة مسترخية
فوق موجة ، بالإضافة الى مبلغ من النقود . وكانت كل الجوائز مقدمة من
فاليب . طافت هذه الفكرة بذهن كارول وهي واقفة هناك ، لكنها هذه المرة لم
تكن مصطبغة بالازدهار . بل بدأت تفهم المكانة التي يحتلها في الجزيرة ،
والمسؤولية الضخمة الملقاة على عاتقه . وعادت ببصرها الى بحر ، وغمرها
الفرحة اذ رأت القارب الذي اختارته يتقدم المركب ، واتطلقت تصفق بفرحة
صبيانية قائلة : « انه سيفوز ! »

« بالطبع . »

وفي اللحظة التي كان فيها القارب الفائز يقترب من الشاطئ ، شق صبي
طريقه وسط الزحام ، وتحدث مع كارول بيرتغالي مضطربة ، وأصغى كارول
بحاجبين مرفوعتين قليلا ، ثم استدار ناحية كارول قائلا :
« هذا شيء كنت أتوقع حدوثه ، يجب أن أعود الى المستشفى ، أخشى أن
أكون مضطرا لتركك تحت رعاية فاليب . »

وقال فاليب : « يسرنى ذلك . »

وأحست كارول أنه لم يكن صادقا في قوله ، وتبادلت مع كارول النجوة
بالألمانية ' في مرح ، محاولة ألا تعكر معنوياتها بوجود شخصية الماركيز
الاستبدادية . لكن ما كاد كارول يذهب بعد كلمات قليلة سريعة بالبرتغالية مع
فاليب ، حتى اكتشفت أن الاطمئنان الذي عرفته برفقة كارول ما لبث أن
تلاشى بمجرد أن التفتت لتواجه فاليب وقال : « تشعرين دون شك بخيبة أمل

لأن الطبيب الطبيب استدعى لكنني سأعيدك الى رفاقك بعد وقت قصير.
كانت كلماته - كما توهمت كارول - تعني أنه لا ينبغي البقاء معها طويلا. ووجدت أن المشاعر الغريبة التي استبدت بها منذ لحظات تبخرت، وتركت مكانها مجرد الرغبة في العودة الى نيسا وبقية المدعوين. واذ أحست بالضيق، ألتفتت نحو نيسا التي تأملتها وهي تتخذ مقعدا بجانبها، وسألتها:
« هل تستمتعين بالمناسبة؟ »

« للغاية، وإن كان كارول المسكين استدعى الى المستشفى. »

« وبقيت مع غاليل! لهذا عدت وقد بدا عليك الاحباط. »

وهزت كارول كتفها وقالت: « ليس الاحباط تماما، لكنني لأشعر أبدا بأنني على سجيئي معه، مثلما أشعر مع كارول. »

وقطعت حديثه حينما بدا أن أنشطة أخرى كانت على وشك أن تمارس على الشاطئ، ولفترة تتابع مباريات متنوعة، وأعطيت جوائز لأصحاب المحاصيل الزراعية الممتازة، وبعد ذلك عرض لركوب الخيل، ولكن كارول كانت طول الوقت منتبهة تماما لوجود الرجل الجذاب الأسود الشعر الذي كان يجلس بجانب سيلميستينا، ويميل برأسه ناحيتها ليتبادل معها الحديث بصوت رقيق. وبعد عرض الخيول، أقبلت ماريتا نحوها برفقة مانويل، كانت تبدو في ذلك اليوم فائقة في ثوب أبيض ناصع، وكان واضحا تماما أن مانويل تنبه الى فتنها ومالت ماريتا نحو كارول، وقالت: « سنذهب الى قرعة الأزهار، هل ترافقينا؟ » ووقفت كارول قائلة: « أحب ذلك. »

واستدارت السنيورا أكواراس بعينيها الحادثتين عندما أقبلت ابتها ناحيتها، رغم أنه كان واضحا أن مانويل يحظى بكامل الرضى، لكنها لم تكن موافقة على ما يبدو، عن تجاوز التقاليد حتى في مناسبة العيد. وقالت ماريتا:
« سنذهب لنفجع السيدة كارول على قرعة الأزهار. »

وأومأت السنيورا أكواراس بالموافقة، وابتسمت لكارول، معتبرة إياها مرافقة كافية لابتها. واستغرق منهم الوصول الى خيمة الأزهار بعض الوقت، ولم تكن المسافة طويلة، لكن ماريتا ومانويل توقفا أكثر من مرة لتحية المعارف، واتقديم كارول اليهم، حتى امتلأ رأسها الى حد الارتباك بمجموعة أخرى من الأسماء البرتغالية. ورغم أن الوقت كان لا يزال عصرا، تكونت مجموعة أو مجموعتان، ترقص على أنغام الغيتار والكمان، ووقفت كارول تنفجج بينما

مانويل وماريتا يشرحان لها معنى بعض الرقصات. وقالت ماريتا:

« يجب أن تأتي الى حفل الرقص الليلة، ستضياء المصابيح، وستجدين أشياء كثيرة تسرك، ستكون هناك أيضا مسابقة بين الراقصين. »

ووصلوا الى خيمة الأزهار الواسعة المربعة القائمة على أوتار خشبية منصوبة على مسافات تبعد حوالي ستة أقدام بعضها عن بعض، تحمل السقف، وكل وتد منها يرفرف فوق قمته يبرق، ويلتف بالأزهار بكثافة حتى ليصعب الاعتقاد أن هذه الأوتاد مصنوعة من خشب. ودلفوا الى الداخل حيث كانت رائحة الأزهار تعبق الجو الى حد الاختناق تقريبا. كانت هناك كتل أزهار في كل مكان، علاوة على سلال واسعة مغطاة، وفي غطائها فتحة تسمح لليد بأن تدخل لتختار زهرة. وحول الجدران رفوف محملة بمختلف أنواع الأشياء غير المتناسقة، كأنها أسواق اللهب في انكلترا. ثم رأت عبر الخيمة رأس غاليل الداكن يتكلم الى سنيورا متوسطة العمر كانت تشرف على الخيمة. وكانت تمنى لو أنه كان في زى مكان آخر غير ذلك. ولم تكن هناك فرصة للفرار. وال عذر مقبولا يمكن أن تقدمه لماريتا، الا الحقيقة، وهي أنها لم تكن تريد أن تسحب زهرتها أمام غاليل. وشقت ماريتا طريقها الى إحدى السلال الكبيرة المخططة التي كانت تقف قربها شابة في ملابس العيد، بانتظار أن تناول الهدية المتفقة مع الزهرة المتفقا. ولم يكن مانويل وماريتا قد رأيا غاليل بعد، وقالت ماريتا لكارول: « هل ستسحبين أولا؟ »

ولكن كارول هزت رأسها قائلة:

« أفضل أن أراقبك لأرى ما يجب أن أفعله بالضبط. »

وانتجعت ماريتا الى السلة، وأولتها ظهرها، ومدت يدها اليسرى خلفها، وعارفته الفتاة المنتظرة في التوجيه يدها الى الفتحة الموجودة في الغطاء، وحينئذ خرجت يد ماريتا بزهرة ذهبية ضخمة، ونجمهم وجهها الحلوة، ورشقت مانويل بنظرة مشتتة، وقالت:

« هذا شيء للغاية، كنت أتمنى الوردة الحمراء، ولكن... »

وهزت كتفها في استسلام. لكنها لم تلبث أن بدت مبتهجة بالوشاح المطرز الذي قدم إليها، وإن كانت تملك مثله الكثير، واستدارت ناحية كارول وقالت بحرج: « الآن حان دورك، يجب أن تأخذى أول زهرة نلمسها أصابعك. » وقبل أن تستطيع كارول الاستجابة، سمع نداء بالبرتغالية، واستدارت ماريتا

باجابة سريعة باللغة نفسها. وكان كل الأعضاء الشباب في مجموعة أكواراس قد وصلوا، يتقدمهم ريناتو وأخته، وقال ريناتو وهو يتأمل كارل بعينين مبتسمتين:

« يبدو أننا وصلنا في الوقت المناسب لمشاهدة الأنسة كارول تختار الزهرة. »
وبتظرة مختلطة لمعرفة ما اذا كان فاليب مازال موجودا، اكتشفت كارول اختفاءه، وتقدمت من السلة أكثر ثقة، وأحست أنها قادرة على التماسك أمام هؤلاء الشبان البرتغاليين المرححين، أيا كانت الزهرة التي تسحبها. وأمسكت يدها من الخلف لارشادها الى الفتحة الموجودة في السلة، وعندما لامست أصابعها ساقا سميقة صلبة، تذكرت ارشادات ماريتا بأن تأخذ أول زهرة تلمسها، وسحبت يده، لتسمع تنهيدة متبعثة من الفتاة الواقعة بجوار السلة.

« الوردة الحمراء! »
ورغم أن النطق كان بالبرتغالية، كانت الكلمتان مفهومتين، وازداد احساسها بالرعب، عندما ارتفع صوت آخر خلفها قائلا: « لاتخافي ياسنيوريتا، العالم لم يأت الى النهاية بعد. »

واستدارت ببطء شديد، لترى فاليب يراقبها بابتسامة سرور خبيث، ثم نظر الى الوردة الحمراء الكبيرة التي أمسكتها بين أصابعها، وأضاف قائلا بلهجة ميزت فيها رنة السرور الساخر: « يبدو أن لقد لم يستجب لدعواتك! »
وقالت كارول محاولة أن تبدو متماسكة: « هذا ما يبدو حقا! »

وتدخلت ماريتا قائلة: « انكما تتكلمان بالألغاز، كيف يمكن ألا يكون القدر استجاب؟ وأنت تفوزين بالوردة الحمراء. »

قال فاليب: « ألا تتذكرين أيتها الصغيرة أن السنيوريتا انكليزية؟ »
وضحكت ماريتا قائلة:

« ولكن حتى الانكليز يمارسون التقييل. ألا يفعلون ذلك بآنسة كارول؟ »
أجابت كارول وهي تتمنى أن يخلصها ردها من الموقف: « ليس علانية. »
قال مانويل: « كذلك البرتغاليون، ولكن هذه الوردة الحمراء جزء من الاحتفال. »

ووقفت الفتاة المكلفة بالسلة حائرة، تنقل بصرها بينهم، ثم قالت في النهاية كلاما لكارول بالبرتغالية، وانسمت ابتسامة ماريتا وهي تترجم قائلة: « قبله ياسنيوريتا. يوجد كثيرون هنا سيعتبرونها شرفا، هيه ياريناتو! »

وانحنى ريناتو الشديد الجاذبية، وقال شيئا بالبرتغالية، لم يترك شيئا لدى كارول فيما يكون مغزا، ولم يكن لديها على الإطلاق ذلك ضده، لكنها لم تكن تريد أن تقبل أحدا، وأن تفعل ذلك علانية، كان هذا يختلف مع كل مبدأ نشأت عليه، وبعارض طبيعتها المحتشمة. وهت رأسه بحزم .. وقالت: « انني اسفة، إنني لأحمل شيئا ضد أحد، لكنني فقط لا أستطيع أن أقبل أحدا علانية. »

ورمت بالوردة في اتجاه السلة، أمله أن تنهى بذلك الأمر، لكن فاليب مد يده والتقطها، وبانحناء هائفة قدمها اليها، وقال: « أين هي الشجاعة الانكليزية التي نسمع عنها كثيرا؟ »

وكانت الكلمات التي نطقها بنعومة فائقة، ولكنه الجذابة ذات الرنين الساخر الخفي، هي التي أشعلت نار الغضب في أعماقها، حتى أنها لم تعد تعرف ما تريد، ولا ما تنوى أن تفعله. وبحركة خاطفة، استدارت، وخطفت الوردة في غضب، واشتعل الغضب في عينيها، اذا. قد حاول أن يذلها! وبحركة أشبه بما لو كانت مستضربه، رفعت وجهها عازمة على أن تقبله بسرعة على وجنته الداكنة لقريبة منها، وأن تراجع بالسرعة نفسها. وربما يكون ماتبع ذلك سبه الدهشة البالغة التي برقت في عينيها في البداية. وألقت كارول برأسها الى الوراء في حد، متنبهة الى أن وجهها كان مشتعلا، وأيضا الى نظرة الدهشة في عيني فاليب - التي كانت بالتأكيد مسؤولة عن حركة رأسه المفاجئة - انسحبت لتحل مكانها نظرة الغبطة الماكرة، وتبينت أيضا، حينما حاولت أن تتحرك الى الخلف بعيدا عنه، أن يديه النحيلتين كانتا قابضتين بقوتيهما القاسية على جانبي خصرها. وقال وقد تسلسل الابتهاج من عينيها الى نبرات صوته: « لقد شرفتني ياسنيوريتا! »

وسقطت يدها من فوق خصرها، وتراجعت هي الى الخلف بسرعة، مواجهة الآخرين بابتسامة تمنع ألا تظهر متكلفة كما كانت تحس بها، وقالت بمرح اعتبرته أفضل طريقة لتفطية ارتباكها: « هل الجميع راضون؟ »

ولكن فيما بعد، حينما هدأت ثائرتها، واستطاعت أن تفكر في الأمر كله بموضوعية، تبينت بدهشة، وبشيء من السخط، أن الأمر لم يكن كريها. وابتعدت، وانجذبت الى الطرف الآخر من المجموعة، وكان من السهل عليها بعد ذلك أن تنسحب تماما، وكان آخر شيء رأيته وهي تهرب من خيعة

الأزهار، ميليتينا تهمس بشيء إلى فاليب وهي تبسم في وجهه، بينما يحيل هو برأسه نحوها مصغيا في اهتمام، كان من الواضح أنه نسي تماما وجود من تدعى كارول، وبدون وعي، رغم غضبها، تنهدت. كارول ولكنها لم تحاول أن تتساءل لماذا. وعندما وصلت إلى الخيمة الأخرى حيث تركت نيسا، كان من المؤكد أن أعلام الغضب والشمر مازالت ترفرف في عينيها، لأن نيسا استدارت بسرعة نحوها، وقالت مبتسمة ابتسامة مازحة: «حدث خلاف جديد في الرأي بينك وبين فاليب.. كما يبدو من بوادر العاصفة...»
«أسوأ من ذلك!»

وفجأة سيطرت روح الدعاية على كارول حينما استعادت في مخيلتها ما حدث... وفهقتها ضاحكة، ثم قالت: «لقد التقطت الورد الحمراء!»
«أستطيع أن أخمن الباقي!»
وفهقتها مبتهجة واستطردت تقول: «رفضت أن تقبلي أحدا، واستعمل فاليب طريقته الخاصة بالإغاطة اللطيفة. وأدركت ظهرك للجميع، صحيح؟»
«إغاطة لطيفة، انه، إنه شيطان يأانس بروتون، استفزني عمدا، فلقى عقابه.»
«حسنا، ماذا فعلت له؟»

ولمدة لحظة اكتسى وجه الفتاة بما كانت نيسا تسميه نظرة مورغانا - أو - فاي، ثم انفجرت من جديد ضاحكة، وقالت: «لقد قبلته!»
«أنت قبلته، هه! اهتلك، ولكن إياك أن تزعمي أنك لم تجدى ذلك مجتعا، حتى لو كنت حائقة.»

وانفجرت شفتا كارول في اعتراض حار، لكنها أحست برجفة تسرى في كيانها، وأغلقت فمها على الكلمات المتعمدة التي كانت مستطلق. وتناولوا العشاء في مطعم ديسكاني، وكانت المصاييح الملونة مضاعة هذه المرة، وظلت الموسيقى تنساب في نعومة وسط الحداثق، مصحوبة بغناء شاب أسمر نحيل مخملي الصوت، كان يتجول بين الموائد بأعانيه البرتغالية العاطفية. ودفع ذلك الصوت الساحر المنساب بعض الشبان والشبات إلى تبادل النظرات المبهمة، وحتى كارول وجدت نفسها تبسم، إلى أن التقت مصادفة بنظرة فاليب المبتهجة الساخرة، وأحست أنه يهزأ بها لأنها تأثرت بالأجواء العاطفية. وبعد ذلك، شاهدوا استعراضات برتغالية راقصة، ثم نهض المدعوون أنفسهم يرقصون على نغمات الموسيقى، ومالت كارول قليلا ناحية نيسا، وهمست: «ماذا أفعل

إذا طلبني أحد للرقص؟ لأستطيع أن أقوم بهذه الرقصات البرتغالية.»
«إذا طلبك أحد، فلا بد أن يكون قد وضع ذلك في اعتباره، ولذلك لا ترفض.»

ولذلك حينما طلب منها ريناتو الرقص، أخذت بتصبحة نيسا ولم ترفض. كانت تلك رقصة أشبه برقصة الفالس سريعة الارتفاع، وبسرعة استطاعت أن تتحكم في خطواتها، وبدأت تستمتع بها. وكان الرقص دائما رياضيتها المفضلة لكن لسوء الحظ لم يكن فاليب يحبه كثيرا. وأعادها ريناتو إلى مقعدها متوردة ضاحكة، وفي الحال تقريبا، طلبها آخر وعادت لتدور في حلبة الرقص. ولم تكن قادرة على مقاومة الرغبة في النظر بين الحين والآخر إلى حيث كانت برتغالية جميلة ذات شعر أسود تبسم لرجل كان يملك جاذبية غامضة. وعادت مرة أخرى إلى المائدة، وحينئذ أحست بدون أن تلتفت أن فاليب خلف مقعدها. وانتصبت واقفة في شيء من التردد، من غير أن تجرؤ على النظر إليه وهو يسحبها لأن ذلك جعلها تتذكر بوضوح ما حدث في خيمة الأزهار. وكان يجيد الرقص لكن كارول أحست بشيء من التحفظ، كان من الواضح، حتى وهو يرقص، أنه مازال الماركيز دي ألفيرو رباتا، وجمد ذلك حركاتها، حتى أنها لم تستطع أن تستمتع بالرقص، وجربت أن تستغرق في الإيقاع وأن تنسى الشيء الذي استبد فجأة بتفكيرها يهمس لها محذرا، ولم يبق إلا وقت قصير للغاية، استمتعي بأيامك المعدودة. ورغم ذلك، كانت تعلم عندما أعادها فاليب إلى المائدة مع كلمات شكر مناسبة، أنها لم تستمتع بالرقص، بل تلاشي سحر ذلك اليوم، وأحست بالتعب وبالوحدة. حتى ابتسامة نيسا المرحبة لم تستطع أن تخفف من ثقل الحمل والآم.

وقد بالك على مقعدها تنهد، ولم تلتفت عندما سمعت صوتا أجنبي اللهجة خلفها يقول بركة، وبعبارة تجمع بين النكليزية والألمانية: «مشاغل كثيرة يا غالييني؟»

واستدار ليواجهها، ورفعت كارول وجهها نحو عيني كارل الزرقارين. ولم يسأله كيف عاد، كان يكفيها أنه أمامها، وقالت متوسلة وفي صونها احتلاجة ألم: «ارقص معي يا كارول، دعني أنسى.»

ولم يسألها ما كانت تريد أن تنساه، ربما كان هو أيضا يعرف أن هناك أشياء تفترس الذهن، ولا يمكن التحدث عنها، وأمسك بيدها دون أن ينطبق

بكلمة، وأنهضها على قدميها ولكن كان في عينيها الفهم والحنان.
ولم تكن الموسيقى قد بدأت، وللحظة تساءلت لماذا اتجه ناحية الفرقة وما
الذي طلبه بالبرتغالية، ثم أوماً قائد الفرقة الموسيقية مبسماً، وبدلاً من الموسيقى
البرتغالية الصاخبة، بأنغامها المتلاحقة، تراقصت في الأجواء أنغام فالس مدينة
فيينا. وهمس كارل: « ارقصى يا عزيزي ... ارقصى وانسى »

« لم تسألني ما الذي أريد أن أنساه! »
« ربما تخبريني في يوم ما، وحتى ذلك الحين، لن أسأل، انتي أفهم كيف
يمكن أن تكون مثل هذه الأشياء. »
« شكراً لك يا كارل! »

وكانت في صوتها نبرة شكر، وهز رأسه باهتمام شاحبة، لم تلبث أن
أشرفت مع الأنغام المرحية، وقال من جديد: « ارقصى ، ارقصى وانسى، من
يمكن أن يكون حزينا عندما تكون هناك موسيقى من فيينا؟ »
وباندفاع مجنون .. أطاعته كارول، انثت، وتلوت، على الايقاع الساحر من
عصر آخر، حتى لم تعد في ذهنها أية فكرة، ولم تكن تدري أن الناس توقفوا
ليتفرجوا على الرجل الأشقر الطويل، وزميلته الرشيق، الذين كانا يرقصان
كأنما روح فيينا القديمة وقد انبعثت فيها الحياة في حديقة جزيرة برتغالية.

٧ - الوجه ولقناع

عادت لورنزيتو بعد المهرجان الى حالتها العادية واحست كارول بالخجل عما
أصابها وفتح طريقاً للأفكار السوداء في ذهنها ، فذكرت نفسها من جديد بما
صممت عليه لكلاً تقضي الوقت المتبقي لها في الأسى . وكانت نيسا تجلس
على أريكة في غرفة الجلوس بينما كانت كارول تجلس بجانبها تتناوب القراءة
ومحاولة كف أفكارها عن التحويم كثيراً حول فاليب ، ثم سمعت صوت
سيارة ونهضت واقفة وحينما رأت من خلال النافذة الرجل القادم والشمس
تلمع فوق شعره الأسود الكثيف أحست في أعماقها بلهفة شوق غريبة .
وحياهما بالبرتغالية عندما قادته تيريز اليهما وسألته نيسا :

« هل ستشرب الشيكولاته معنا ؟ »

شكرها لكنه اعتذر موضحاً أن عليه العودة الى القصر لارتباطه بموعد غداء .
ثم نقل بصره بينهما وسأل نيسا :

« هل أنت مرتبطة بموعد بعد ثلاثة أيام ؟ »

وهزت نيسا رأسها نافية وتحولت نظرة فاليب الى كارول وسأل :

« وأنت يا آنسة كارول هل أنت مرتبطة بموعد في ذلك اليوم ؟ »

وتساءلت كارول عما يقصد ، لكنها مع ذلك هزت رأسها بالنفي وعاد
ينظر الى نيسا قائلاً :

« هذا حسن للغاية ، كنت قد عرضت على الآنسة كارول أن أقوم معها
بعجولة داخل الجزيرة وأمل أن تستطيعي أنت أيضاً مصاحبتنا »

وتذكرت كارول بعد فوات الآوان وتمنت لو أنها قطعت لسانها المتهور
لإعطائه مثل هذه القرصة . لو أنها تبينت في الوقت المناسب الهدف من زيارته
لكانت في الغالب فكرت بعذر ، رغم حرمان نيسا من تسليية كانت في أشد
الحاجة إليها . وإزاء هذا الخاطر سرت لأنه لم يكن لديها وقت للاعتذار ولم
يبق طويلاً ، ولم تحدث إشارة بكلمة أو تعبير الى ما وقع في عيمة الأزهار

ورافقته نافرة حتى الباب تاركة نيسا مستريحة فوق الأريكة ونظر إليها عندما خرجا إلى حيث أشعة الشمس اللامعة وتجمدت كارول في أعماقها عندما قابلت النظرة الفاحصة الحيادية في عينيه وهو يقول :

« هل تتعبك شدة الحرارة ؟ »

« لا أبدا بل إنني أحبها وأعتقد أنني سأمتنع بالمناخ الاستوائي »

« ربما يحدث ذلك رغم مظهري الانكليزي للغاية »

« لا أستطيع أن أقاوم مظهري الانكليزي »

وأبتها طبيعتها المهذبة على هذه الكلمات . كانت فظة ولكن كالعادة أن شيئا ما في سلوكه يدفعها إلى الاندفاع الخاطيء . ولكن حتى مع سريان الأفكار المتحررة في ذهنها ارتجفت للتعبير الذي كسا وجهه وتوقعت أن ينحني برسمية جافة ويتجه نحو سيارته ولكن بدلا من ذلك انفجرت شفتاه المرسومتان عن ابتسامة توصي بنزوة غريبة وقال :

« يبدو أن كلانا يقول دائما الشيء الذي لا يقع موضع القبول لدى الآخر هذا غريب ... أليس كذلك ؟ »

ورمقته كارول بنظرة ذاهلة مستعلية دون أن تدري تماما كيف ترد على الملاحظة ، ثم أشاحت عنه بسرعة وسمعت نفسها تقول :

« إنني أسفة كنت فظة جدا »

« كنت كذلك ، لكنك ربما كنت أيضا ضحية الاستفزاز »

وارتفع رأس كارول بسرعة وقالت في تصميم :

« كنت فعلا ضحية الاستفزاز يا سنور »

واصطيفت لهجته بالمزاح الخفيف الذي لم يحركها إذ قال :

« لن نتعارك على ذلك ، وسيبرني أيضا لو استعملت اسمي إن المرء يتعب من هذه السنور السمرة »

ومن جديد نظرت إليه كارول ذاهلة ثم تطلعت نحو يديها بتمعن وقالت :

« سأحاول يا حسن ... يا فاليب »

وسخرية لأذعة في صوته قال :

« أستطيع أن أقدر صعوبة ذلك ولكن بمساعدة الشجاعة الانكليزية العنيدة يمكن إنجاز المهمة »

وضحك وأخنى رأسه الداكن بخفة وقال مستعملا البرتغالية في كلمة

التوديع : « وداعا . يحسن أن أنصرف قبل أن نتعارك من جديد »

وأعلنت ابتسامة مترددة شفتيها وقالت : « وداعا يا فاليب »

وهز رأسه قائلا : « كلمة وداعا الانكليزية قاطعة للغاية ألا تستطيعين استعمال اللفظ البرتغالي رغم كراهيتك للغة ؟ »

« لست أحمل كراهية لها ، ما هو المفروض أن أقوله إذن بالبرتغالية ؟ »

ولسبب ما لم تكن تريد له في تلك اللحظة أن يستمر على اعتقاده بأنها نكرو لغته ، وذكر لها الكلمة بالبرتغالية وابتسم لطريقة نطقها حينما رددتها

بعده فسأله : « ما الذي قلته ؟ »

« حتى نلتقي لا تنزعجي ، لم تكن شيئا ذا علاقة خاصة بالحب »

وأحسست بالدفع يتدفق إلى وجنتيها وقالت بسرعة :

« لم أكن أتوقع منك شيئا من هذا القبيل يا سنور »

« من الحكمة أن يكون الانسان مستعدا ، وتحسنين صنعا لو تعلمت

البرتغالية ، قد يوجد آخرون يستغلون جهالك بلفتنا »

« أعتقد أنني في مثل هذه المواقف أستطيع أن أعمن ما يقال أيا كانت

اللغة »

وقال بالبرتغالية : « حتى نلتقي يا كارول »

ثم أضاف : « حاولي ألا تفكري في عذر لعدم المجيء بعد ثلاثة أيام »

وداعبت ابتسامة شفتي كارول وردت بالبرتغالية : « حتى نلتقي يا فاليب »

وبعد تحية ساخرة بعض الشيء من يد سمراء أنصرف في سبيله ولدهشتها وجدت نفسها متلهفة أن تمر الأيام الثلاثة ١

وبزغ الصباح زاهيا متنعشا كان واحدا من أيام خوارماسا التقليدية التي تجمل

الحياة متعة في الجزيرة ، وقفزت كارول من سريرها بقلب مرح . وعندما

أنحلت حماما ارتدت زينا أثناء القيام بتدليك ساقي نيسا ، لكنها لم تكن

تنوي البقاء ولم تكن نيسا تعرف نواياها فأعربت بنظرتها عن ضيقها بذلك

وبدأت تقول : « كارول »

وردت كارول بدون أن ترفع وجهها عن عملها : « نعم »

« هل ستبقين بهذا الزي اليوم ؟ »

ورفعت كارول وجهها بسرعة بابتسامة مأكرة وقالت :

« فاليب لن يرضى عن ذلك ، أهذا هو قصدك ؟ »

« أخشى ذلك ، وبدأت أعتقد أنك تجدني متعة في مضايقتي »
 « ليس تماما ، رغم أنني أفعل ذلك أحيانا ، وآخر مرة التقينا فيها وصلنا
 الى نوع من الهدنة المهتزة »
 « ماذا يعني ذلك بالضبط ؟ »
 « افترقنا في حالة صداقة مسلحة مدركين أننا قد نخرق الهدنة كم جديد
 في أية لحظة لنعود الى حالة حرب مافرة »
 وظلت نيسا صامتا لحظة طويلة ثم قالت أخيرا :
 « كارول ، هل أنت متأكدة من أنك لم تقمي في حبه ؟ »
 « في حب فاليب ! كلا بالطبع ، يا لها من فكرة غير معقولة »
 وسكتت من جديد عابسة ثم استطردت قائلة :
 « إنه ليس نمط الرجل الذي يمكن أن اختاره لأقع في حبه »
 « الحب عادة لا يسمح بالاختيار »
 « أعرف ، ولكن لا جدوى من ذلك في أية حال لا أعتقد أنني من
 الجموح بحيث أقع في حب »
 « عندك من الجموح ما يجعلك ترددين عليه »
 « هذا مختلف . لكن لا أستطيع أبدا أن أحبه بسبب ... »
 « أعرف .. بسبب حبك لفيليب لايلاند »
 « أنا لا أحبه »
 وظلت الكلمات الثلاثة معلقة في الهواء فترة وأغمضت نيسا عينيها
 وفتحتها غير مصدقة ما سمعته ثم رددت : « لا تخينه ! »
 « قطعا لا اكتشفت ذلك حتى قبل المهرجان شيء مذهل أليس كذلك ؟ »
 وضحكت وهزت رأسها متعجبة وقالت : « وبعد كل هذا الوقت ! »
 وتنهدت نيسا في ارتياح وقالت :
 « حسنا . هذا أمر يسرني سماعه في كل الاحوال »
 « وأنا أيضا ، أهنئ الآن أنني حرة أكثر مما كنت لفترة طويلة ولسوف أمتع
 نفسي أثناء وجودي في خوامسا ، وهذا يتضمن ألا أدع العزيز فاليب يشعري
 بأنني لا أزيد عن حجم رأس الدبوس »
 « وفهمته نيسا ضاحكة وقالت : « إن لك طبعنا نقدا يتولى هذه المهمة
 والآن إذهبي لتغيري زيك بأجمل أثوابك »

وارتدت ثوبا حريشا باغت الاصفرار ووضعت في قدميها الصندل الأسود
 الذي ظهرت به في المهرجان وعندما كان تمشط الخصلات البرونزية المتحدرة
 وقع بصرها على العقد ذي الحلقات الاسطوانية المسطحة فوق مائدة الزينة ،
 وتركت المشط جانبا وأحكمت العقد حول عنقها ولاحت ابتسامة خبيثة على
 شفيتها حينما تذكرت أن فاليب تخدأها أن ترنديه قائلا : إنها ستخاف من
 الاقدام على ذلك لو علمت معنى النقوش عليه . وصاحت نيسا مبتهجة
 حينما وقع بصرها على بمرضتها :

« تبدين مثل قبضة شعاع من ضوء الشمس »

وضحكت كارول ودارت حول نفسها مبتهجة بسماع خفيف ثوبها
 الفضفاض وتطاييرت حلقات شعرها اللامع المنساب وقالت بسعادة :

« أعتقد أنني سأستمتع بيومي »

« إنني مسرورة لسماع ذلك »

وتوقفت كارول عن دورانها المرح عندما سمع صوت فاليب فجأة ولم تكذب
 تستقر حتى رآته واقفا بجانب الباب مباشرة ، كامل الأناقة كالمعتاد شعره
 الأسود يلصق وملامحه الداكنة تبدو مكتملة الرجولة والجاهزية . ورغم البريق
 الظريف في عينيه لم يكن النوع الذي يحرك في كارول الشعور بعدم الارتياح
 ، والغريب أنه ذكرها بالمرءة التي تحدث فيها عن نسلقه الأشجار حتى أنها
 استطاعت أن تنسجم له ابتسامة طبيعية أكثر من أي وقت مضى وسار كل شيء
 على مايرام في ذلك الصباح ، فقد بدا كأنما هناك إشعاع ينشر الاحساس
 بالبهجة ، ووسط هذه الأجواء وبعد تقديم المشروبات الباردة خرجوا متجهين
 ناحية السيارة السوداء ، وعندما وصلوا الى الطريق المؤدي الى لورنزيو التفت
 فاليب في الاتجاه المعاكس وشعرت كارول بالرضى لتعرفها على بعض أسماء
 الأشجار رغم قصر إقامتها في الجزيرة ، ووسط هذه الأشجار كانت تبيت
 الأزهار الملونة التي جعلت من الجزيرة جنة من الألوان والأضواء .

ووقفت فاليب بالسيارة عند قمة الجبل بينما تلفتت كارول حولها لترى ما
 سبب هذه الوقفة المفاجئة وكان كل ما فازت به هو إحساسها بأنها في مكان
 ما مرتفع في العالم تكسوه الأشجار حتى حافة المنحدرات العميقة ، واستدار
 فاليب ناحية نيسا ابتسامة سريعة مبهمة وسألها :

« هل تسمحين لنا لمدة دقيقة واحدة ؟ »

وردت نيستا في الحال : « طبعاً »

وبسرعة دار فاليب حول السيارة ليفتح الباب قائلاً :

« هذا جزء من خواماسا يجب ألا يمر عليه المرء مروراً عابراً »

وكانت أصابعه رشيقة حينما عاونتها على الخروج من السيارة واعتزتها تلك الرجفة الخفيفة للممس رجل كانت حتى وقت قصير مضى متأكدة من كراهيتها له »

وقال وهو يقودها الى الطريق في اتجاه المنحدر :

« من الملاحظ أن البراعم تفتح سريعاً بتأثير دفء خواماسا »

« ماذا تقصد يا سنيور »

وعادت اللهجة الساخرة القديمة الى صوته وبدا واضحاً أنه لم يستطع أن يقاوم هذه الرغبة اللطيفة في التهمك عليها وقال :

« الممرضة كارول الصارمة اختفت من جديد والتغير كبير يستحق الاستحسان رغم أن لها ذاكرة ضعيفة جداً » وارتفع أحد حاجبيه واستطرد مازحاً : « هل هي اذن مهمة صعبة للغاية أن تستعملي اسمي ؟ »

« كلا »

« نسيت فقط . فعندما يكون الانسان معتاداً على التفكير في شخص ما بطريقة معينة يستغرق منه التغيير بعض الوقت »

« إنني أتساءل ، كيف تفكرين بي ؟ »

وفي الحال تبينت كارول مدى صعوبة الاجابة على السؤال بل وخطورتها وكانت تتساءل اذا كان الأفضل أن تفكر في اجابة مراوغة كافية لإرضائه ، عندما رأت إهتزاز كتفيه وضيق عينيه وعودته الى الجدية بطريقة أثارت حيرتها . أما هو فقال :

« لا بأس ، فقي الغالب أن أمر لست نفسك متأكدة منه يا عزيزتي كارول »

« ثمة مناسبات لا يكون هناك عدم تأكيد ... أبداً »

ووضع يده على ذراعها ليوقفها عن السير . ووقفاً تحت أغصان شجرة التاماريسك يتأملان تلا منحنياً ينتهي بشاطئ رملي تتكسر عنده الأمواج البيضاء وسمعته يقول :

« ألا يستحق هذا المنظر أن يكون يومك قد نظم لك بطريقة استبدادية ؟ »

وكان صوته لطيفاً مهدباً ، لكنها كانت تعرف أن مجرد نظرة منها لا بد أن

تكشف عن ابتسامة في عينيه وبدأت تحس بارتباك لشدة قربها منها لكنها لم تجرؤ على أن تتحرك مبتعدة خشية أن يلقي بأحد تعليقاته الساخرة التي يتعذر الرد عليها . وظلت صامتة فترة ، نشد من عزيمتها لتسيطر على اضطراب تنفسها الذي كاد يسيطر عليها ، ثم أجابت أخيراً بأن المنظر جميل بالفعل ولكن دون أن تذكر شيئاً عن تسامحها لكون اليوم نظم بطريقة استبدادية . وتحرك بخفة ، وأدركت كارول أنه كان يتأمل تعبيرها من نقطة أكثر قرباً مما كانت تحب ، وقال : « شيء ماسرك اليوم . »

وعرفت كارول أنه كان يشير بذلك الى كونها لم تنفعل بسرعة ، ولكن حيث أنها اكتشفت أن جزءاً كبيراً من سرورها كان يدين بالفضل لوجودها بجانبه ، لم تكن تستطيع أن تخبره بالحقيقة . وأجابت : « قد أكون اليوم في الواقع منطلقة خالية البال... »

« هل من المسموح أن أستفسر عن السبب ؟ »

وهمت أن ترد ، ولكنه قاطعها برفع يده قائلاً : « أقدم اعتذارى .. انه أمر خاص كما يفهم ؟ »

« خاص للغاية . »

وكانت لهجة كارول حازمة ، وأدارت وجهها وقد تراقصت عينها ، اذ أحست أن المناقشة في هذه النقطة طالت بما فيه الكفاية وانعكست الشمس على حلقات العقد الأسطوانية ، فجذبت نظر فاليب الذي ارتفع أحد حاجبيه الداكنين قائلاً : « إذا مازلت على ارتباطك بالمجهول ؟ » « ربما لأنني لأخاف المجهول . »

« وأيضاً ربما لأنك تخافين المعلوم ؟ »

وتأملها بنظرة خاطفة متفحصة ، وبدا الانشراح واضحاً في عينيه وقالت هي متحدية : « اذا أخبرني عما تعنيه هذه الحلقات الأسطوانية . »

واقترب منها ، ومن جديد كان عليها أن تسيطر على رغبتها الملحة في أن تخطو بعيداً عنه ، وربما يكون لاحظ حركتها اللاإرادية رغم ضآلتها فعمقت الابتسامة في عينيه واصطبغت بتلك السخريّة التي كانت تعرفها جيداً ، وبسرعة خلعت العقد وناولته اياه - وباصبع من يده الأخرى نقر على الأسطوانة الأولى بأعمال وقال : « هذه تطالب بالحب . »

وارتفعت عيناه نحوها حينما تكلم ، وأحست كارول انه يتوقع منها بعض

التعليق. فقالت بعدم مبالاة: «أعتقد أن كل شخص يطلب الحب في وقت ما.»

«ولكن ليس هذا كل شيء.»

ومن جديد رمتها بتلك النظرة السريعة من عينيْن داكنتين كان لهما بريق الزمرد، واستطرد قائلاً: «هذه تعد بالتجاوب مع الحب. والثالثة تطالب بالعاطفة التي لها دفء الشمس، وعنف رياح الخماسين.»

«وأظن الرابعة تعد بالأخذ والعطاء، إنها تبدو مخلوقة عنيفة. أقصد الفتاة التي نظمت العقد.»

«ولكنها كانت تعرف كيف تحب»

وأحست من جديد في صوته تلك النغمة الخفية الرقيقة التي كانت تحفزها على التعقيب ولكنها قررت أن تتجاهل ذلك وسألت:

«ما الذي تقوله بقية الحلقات؟»

وبحركة شيطانية من حاجبه الداكن أظهر أنه يدرك جيداً تملصها من التحدي وقال: «أمازلت لا تخافين سماع المزيد؟»

وتعمدت كارول أن تلتقي بعينه بشتات وأجابت:

«حسناً، بقية الحلقات لن تستطيع أن تطالب بشيء أكثر إزعاجاً من سواها»

«صحيح، الخامسة تطالب بأن يدم الحب واثنان محفور عليهما آيات دينية»

وأعاد إليها العقد وقال: «والآن وقد سمعت معنى النفوس أمازلت لديك الشجاعة لأن ترتدي العقد؟»

أخذت منه العقد ولفته حول عنقها قائلة: «كما سبق أن قلت من قبل يا سيوري أنا لا أعتقد في الخرافات»

«أنت لا تعتقدين في الخرافات، ولا تملكين ذاكرة قوية، أم أن هذا متعمد يا مورغانا لوفاي؟»

وأحسبت: نغمة لسماعه يناديها بالاسم القديم الذي كان يدللها به والدها حتى أنها لم تجد كلمات ترد بها عليه أما هو فاعتبر صحتها تأكيداً لرغمه وقال: «قا تحسبن أن مدة التعارف بيننا أقصر من أن تجعلنا نرفع الكلفة ونستعمل أسماعنا المجردة»

وعاد من جديد حياذيا منعزلاً حتى السخريّة اللطيفة تلاشت وأحست هي برجفة غريبة. كيف كان لها أن تشرح له أن اخفاقها في استعمال اسمه المجرد يرجع إلى خجلها فقط، وليس إلى نفورها؟ وايتسمت لها نيسا عندما عادا إلى السيارة متظاهرة بأنها لم تلاحظ التوتر الجديد الذي كان يكتنف الاثنين. وعندما اتخذت كارول مكانها السابق في مقدمة السيارة استبد بها تصميم مفاجيء على أن تخدم شعلة العداوة القديمة المتجددة وتكلمت بسرعة وهي توزع ابتسامتها المشرقة بين الاثنين وسأله وفي تقديرها أنه ما من شيء في السؤال يمكن أن يشير احتكاكاً بينهما: «كيف تعلمت العربية؟»

«عندي فيلا ومزارع نخيل خارج الجزائر مباشرة»

ودون أن يرفع يده السمرء عن عجلة القيادة حركها بإشارة خفيفة واستطرد قائلاً:

«لا أذهب إلى هناك إلا نادراً ولكن كان من الضروري أن أعرف العربية»

«أما كان يمكنك أن تستعين بمرجم؟»

«لا يمكن أن يفهم المرء الناس بواسطة مترجم»

وسألت نيسا: «أفهم من هذا أنك عرفت معنى نفوس العقد؟»

واستدارت كارول في مقعدها حتى استطاعت أن تواجه نيسا وقالت:

«من الواضح أنني بارتدائي العقد أنشد الحب والعاطفة والطبيعة العنيفة للغاية»

وقال فاليب وهو يرنو بنظرة جاذبية إلى كارول التي رأت في عينيه السخريّة اللطيفة القديمة: «ولما كانت لا تؤمن بالخرافات فهي لا تخاف من ارتدائه، إنني أتساءل هل كانت ستكون لديك الشجاعة على ارتدائه لو كنت ممن يؤمنون بالخرافات؟»

وساروا بالسيارة وسط تلال منخفضة وبعد منتصف اليوم بقليل وصلوا إلى مشارف مزرعة في الناحية الأخرى تقريبا من الجزيرة. وهنا وقفوا في النهاية خارج فيلا صغيرة جذابة وقال فاليب شارحاً:

«لنتناول طعام الغداء هنا»

وقدمت نيسا كارول إلى مضيفيهما. وكان واضحاً أنه أحد مديري أعمال فاليب، وكان يرتغاليا لطيفاً في منتصف العمر، وبعدما ساعدوا نيسا على الخروج من السيارة جلسوا حول مائدة طعام رسمية، وزاد من تعقيد الأمور أن

المضيف وزوجته وابنته لم يكونوا يتكلمون الانكليزية ، كانوا غاية في الجمالة والظرف ، ولكن كارول أحست أن تصرفاتهم الرسمية الجامدة كانت ترجع الى وجود السنيور معهم وتناول الطعام على مائدتهم . وعادوا بعد الغداء الى مواصلة طريقهم ، ووجدت كارول نفسها تدندن لاشعوريا الأغنية الشعبية البرتغالية التي التقطتها من تيريز ولم تنتبه الى ذلك إلا عندما نظر فاليب اليها وقال : « يبدو أنك تكتمسين أشياء برتغالية حتى ضد إرادتك »

« تقصد الأغنية ؟ التقطتها من تيريز »

« واصطبغت ابتسامتها بالتحدي وهي تستطرد متسائلة :

« هل يضايقك ذلك ؟ »

« كلا على الإطلاق »

« وظل برهة صامتا ثم سأل مغيرا دقة الحديث تماما :

« هل بدأت قراءة أساطير سميتك ؟ »

« أجل ، إني أستمع بها كثيرا ، وفي كل مرة أقرأ شيئا عنها أنساءل لماذا

اختار لي أبي اسمها ، أتمنى ألا أكون بالفعل مثلها »

« ليس في الصفات ... ولكن »

« ومن جديد أحست بنظرته الجانبية الفاحصة التي كانت هذه المرة مبهمة

وعاد يقول : « ولكن ربما يوجد شيء ما مشترك ومن العجيب أنه لم يعطك

الاسم كاملا »

« لقد اقترب منه قدر الامكان فاسمي الثاني فاي »

« مادامت الملابس العصرية متنوعة في يوم المهرجان الكبير فأعتقد يا فاليب

أنها لا بد أن ترتدي ملابس مورغانا لو فاي ألست معي في ذلك ؟ »

« وما كادت نيسا تنطق بهذه الكلمات حتى تمت لو أن لسانها قطع ،

ووجهت نظرة صامتا أسفة نحو الفتاة ... فأحيانا كان الأمر الفظيع يغيب عن

ذهنها فيزل لسانها ولم يخفف عنها إلا رؤية كارول تبسم وتهز رأسها بخفة

كما لو أن ذلك لا يعينها في شيء رغم أن كارول لن تكون في الجزيرة

عندما يحين موعد المهرجان . وقالت كارول مازحة :

« الملكة الساحرة ، سيكون من السهل تمثيل ذلك الدور »

« وقال فاليب ليغيبها بينما نيسا تحاول ألا تفكر :

« ويسعد خواماسا أن تستقبل ملكة انكليزية »

ولفترة استسلمت كارول لأحلام اليقظة ولتظاهرها أنها حقيقة ستكون في الجزيرة وقت حلول موعد المهرجان فلديها الثوب الأسود الخملي . كانت تستطيع بسهولة أن تطرز الكممين الواسعين وفتحة الصدر المربعة ، أما تصفيف الشعر العالية مع الخمار المتطاير فكان فيها بعض الصعوبة . وفاليب ؟ كان طبعها سيبدو خللا في الملابس البرتغالية التي ترجع الى القرون الوسطى والتي ستضفي خلفية مناسبة لسحره الملكي ولكن ما جدوى أحلام اليقظة ؟

وعادوا الى الجزء الأهل بالسكان من الجزيرة عن طريق مختلف وظهرت عملية بناء جسر حديث كبير ، بدت من خلفه عن بعد قباب أبنية لورنزيو ووضعت أحداث ذلك اليوم التذكاري جانبا عندما أخذت كارول تتأمل باهتمام جسرا جديدا في طور الانشاء ومن خلفه مساكن لورنزيو ذات القباب فأبطأ فاليب من سرعة السيارة وقال :

« هل هناك ما يثير اهتمامك ؟ اذا لنقف فترة »

« وتذكرت كارول بعد فوات الأوان أن هذا في الغالب هو المكان الذي يعمل فيه فاليب . كانت قد أوشكت أن تنسى وجوده في المنطقة ، ولم تكن متلهفة لرؤيته خاصة تحت عيني فاليب ألفيرو الحادتين . ولكن كان الوقت متأخرا لعمل أي شيء إلا قبول الوضع الراهن يأمل أن ينتهي الأمر على خير . وتمنت في تلك اللحظة لو أنها لم تذكر أبدا اسم الرجل الذي كانت مخطوبة له في الماضي حينما تكلمت مع فاليب في ذلك اليوم في القصر ، ولكن ربما لا يكون متذكرا .

« ونزلت من السيارة ببطء ورأت فاليب مقبلا نحوهم ، رأت التحية الباسمة على وجهه وقد تحولت الى دهشة . ولأن عينيها فرغت من الحب وجدت نفسها تدرس كل شيء فيه بعين النقد واكتشفت في ملامحه تنافرا لم تكن لاحظته من قبل ، وضعفا في الفم الخاط بالخطوط الكثيرة . لقد كان مختلفا كثيرا عن الرجل الذي اعتقدت في الماضي أنها تحبه .

« ونقل فاليب نظره بينهما واتسعت عيناه فجأة وسأل :

« هل تقابلتما من قبل ؟ »

« نشأنا معا في انكلترا »

« وحسب كارول أنفاسها خشية أن يضيف أنهما كانا مخطوبين في وقت ما ولم تدرك لماذا كانت تخاف أن ينطق بالكلمات وكانت نظرتها السريعة نحوه

تتعلق بشيء من الرجاء . وسواء استجاب لها أم أن الخير غير المرغوب فيه لم يطرأ على باله حتى يتلقى به ، مرت اللحظة الأخيرة وقال فاليب :

« من الغرابة إذن أن تلتقيا في خوامسا »
وأجاب فيليب مبتسما لكارول بطريقة أوحى بوضوح عن علاقة قديمة بينهما : « كانت الصلة انقطعت بيننا ثم جاءت المقابلة مفاجأة لكلينا ، مفاجأة سارة بالنسبة الي على الأقل »

وأحست كارول في ابتسامة الماركيز التي استدار بها نحوها بلمحة تهكم وقال : « هل كانت مفاجأة تامة لك ؟ »

وقبل أن تستطيع الرد انبرى فيليب قائلا : « آوه ... تقابلنا قبل اليوم » وساور كارول انطباع غريب بأن هذه الكلمات ما كان يجب أن يقال . اذ أوحى بأن هناك سرا يتعلق بلقائهما السابق وربما كان فاليب أحس بالشيء نفسه اذ تلاشت السخريّة من وجهه الداكن وحل مكانها تعبير الحياد والانزال وقال بدون أن تدري لماذا كان عليها أن تقدم توضيحا للموقف وإن أحست برغبة ملحة في ذلك : « جاء فيليب ذات عصر زائرا فيللا فرانشيكا »

وامتدارت بنظراتها نحو نيسا وقد تنبّهت فجأة الى أن السيدة المسنة بقيت خارج الحديث وقالت لها : « كنت حينذاك نائمة وامتنعت عن ايقاظك » ونظر اليها فيليب معتذرا وقال : « طاب يومك يا آنسة بروتون ، أبدو مقصرا في حقك ولكن أخشى أن يكون ذلك بسبب دهشتي لظهور كارول فجأة » ولم تكن ابتسامة نيسا ودودا كالعادة ذلك أنها لم تكن تحب فيليب لايلاند ، وإن كان الأدب يفرض عليها أن تتظاهر بذلك . وعاد فيليب يقول بإبسامته الساحرة التي لاحظت كارول للمرة الأولى مدى نكلفتها :

« أفهم من ذلك أنك غفرت لي ؟ »

وقالت نيسا متظاهرة بالتردد : « سأفكر في ذلك »

وامتدار فيليب نحو كارول وسأل مستفسرا :

« هل التقيت بطيبينا السويسري ؟ »

« إنه يتردد علينا ليراقب حالة ساق الأنسة بروتون وصحتها عموما »

وقالت نيسا يبريق مفاجيء في عينيها :

« أعتقد أنني بدأت أكون عذرا بل مبررا طيبا »

وأحست كارول بتدفق الدفء الى وجنتيها بينما رفع فاليب حاجبه وقال :

« هكذا ؟ من أيضا يستغل هذا العذر ؟ أعتقد أنك بذلك تظلمين نفسك » وقالت نيسا يبريق فرح في عينيها لمجاملته اللطيفة :

« شكرا لك يا فاليب لكنني أعتقد أنك في هذه الحالة تظلم كارول »

وانحنى الرأس الداكنة في اتجاه كارول بتسليم ساخر . وانبرى صوت الماركيز قائلا : « اعتذراتي يا كارول »

وفررت كارول أن حان الوقت لأن يخلو الحديث من الأمور الشخصية وأخذت تتساءل كيف تستطيع أن تغير دفته ، حينما تولي فيليب المهمة نيابة عنها . واستفسر بغير اهتمام كبير عن مدى تقدم حالة ساق نيسا ، ثم انتقل الى أمور أخرى تافهة . وبعد فترة لاحظت أنه كان يناور ليختلي بها . ولكنها بمهارة أفسدت عليه محاولاته . وبدا فيليب مصمما على ألا يدعها تهرب وقد صار واضحا أنه مثبته لتهربها وبدأت هي تضيق بالحاح المستتر . وأخيرا قال وعينه مصويتان نحوها متجاهلا الاثنين الآخرين :

« ألا تحبون مشاهدة مرحلة البناء الحالية ؟ »

وترددت كارول كارهة الاستسلام لمراوغته ، لكن مدركة أن اهتمامها بالجسر هو الذي دفع فاليب الى التوقف . وسمعت فاليب من ورائها يقول بأدب بارد : « لدينا متسع من الوقت »

وألقت كارول ناحية نيسا نظرة رجاء ، اذ لم تكن تريد أن تنفرد بفيليب . لكن العون لم يكن متوقعا من هذا الجانب فالسيدة المسنة لم تكن تستطيع أن تغادر السيارة لتتجول فوق الأرض الخشنة ، بل كان واضحا من نظرة عينيها أنها فهمت الوضع . وامتدار ناحية فيليب وقال :

« هناك بعض التفاصيل بالويلاند أحب أن أستفسر عنها في الموقع نفسه . وإني أدرك أن هناك أمورا شخصية تريد أن تتناقش فيها مع كارول ، لكن ربما تستطيع تركها حتى لقاء آخر »

وقالت كارول بخفة مدركة بعض ما كان يخفيه فيليب من الضيق :

« أعتقد أننا تكلمنا عن الأيام الخوالي المرة السابقة بما فيه الكفاية »

وقال فيليب بنظرة تصميم في عينيه :

« وكما اقترحت يا سيدي ستكون هناك مناسبات أخرى »

وامتدار بنظرته الى كارول وقال :

« الأمر الوحيد الخاص الذي كنت سأذكره كان اذا كنت مستقبلين العشاء

معي ذات ليلة في لورنزيتو . إني متأكد أن الماركيز لن يرى في ذلك شيئا
خاصا للغاية دون ذكره أمام الآخرين »
وقال فاليب متباعدة عن الموضوع :

« في كل الأحوال اعملا الترتيب الذي يروق لكما »
ونظر فاليب إلى كارول متائلا ، وفكرت هي بسرعة كيف تتخلص من
الموقف وقالت : « لا أعتقد يا فاليب أنني أستطيع أن أقهر الآن فكما ترى
على أن أرحي الأنسة برونون ، ثم إني هنا بصفتي ممرضتها ولا أستطيع أن
أخرج في أي وقت وأتركها »
وسمعت فاليب يقول : « آه ، عودة إلى المعرصة كارول ذات الضمير
اليقظ حتى بدون الزر »

وتقدموا باتجاه الجسر الفولاذي ودهشت لسماع فاليب يتناقش فيها مع
الرجل الآخر ثم تلاشت دهشتها ، أفلم يكن ذلك متوقعا منه ؟ لقد تعلم
العربية حتى يستطيع أن يتكلم مع الناس الذين يعملون في مزارع البلح التي
يمتلكها ، ومن المنطقي نفسه اهتم أن يستوعب بطريقة ما معرفة متقدمة في
العلوم الهندسية حتى يستطيع أن يتناقش فيها مع من يعملون في المهنة . كان
رجلا مرموقا وكان لابد من وجود زوفا أخرى متعددة لشخصيته ولحياته لم
تُعرف بعد . وتمت رحلة العودة إلى فيللا فرانثيسكا في أجواء مختلفة تماما .
فلسب ما تقاعد فاليب في قوقعة حيادية وحينما تجاسرت كارول مرة على أن
تنظر إلى جانب وجهه فحت نفورا ياردا وحادا وصلوا إلى الفيلا قرب المساء
وساعد فاليب نيستا على الدخول إلى البيت واعتذر عن دعوة للعشاء معها
وتوجه في الحال إلى سيارته ، ولم تكشف كارول أن عقدها قد فقد إلا عندما
كان على أهبة ركوب السيارة ودون تفكير خرجت بسرعة من باب الفيلا
للحاق به . وقالت لاهثة : « إنه .. إنه عقدي .. أعتقد أنه سقط في السيارة »
وارتسمت على شفتيه ابتسامة تكاد تكون ساخرة وقال : « آه .. نعم ..
العقد .. شيء له مثل هذه المقدرة السحرية يجب ألا يضيع »

وفتح باب الجانب حيث كانت تجلس وانحنى ووجد العقد يلصق كما كان
يتدلى من قبل في وقت بدا كأنه منذ دهر مضى . ولكنها لم تلمح التعبير
الساخر المرح على وجهه هذه المرة ، وأسقط العقد في يدها كما لم يكن لا
يحتمل أن يلصقها . وقالت كارول بصوت حاولت أن يكون مؤدبا وأن يكون

خاليا من التعبير : « شكرا يا سنيور » .

« حافظي عليه جيدا يا سنيوريتا ، فقد تكون مكافأته لك قوية »
« ماذا تقصد ؟ »

« ربما في المرة المقبلة لا تكونين مضطرة إلى قضاء يوم برفقة شخص
تكرهينه لم تواجهين الرجل الذي كنت ستزوجه »
ثم أضاف مستهزئا : « توقعت أنك ستستعين بهذا اليوم ، وأنتي أن ذلك
تحقق »

ورغم التعمامة الغامضة التي اجتاحتها قالت متحدية :

« شكرا يا سنيور تمتعت بهذا اليوم بكل شيء فيه »

وارسم الاستهزاء على فمه الأرستقراطي راستورد قائلا :

« لم يكن من الضروري التظاهر ، أعرف جيدا أنك تكرهيني ، ولكن ذلك
ما كان يمكن أن يكون سببا لإنهاء النزعة بدون التفرج على الجسر الجديد
الجدير باهتمامك »

« لكنني لم أكن أظاهر »

« لا داعي للمزيد من الادعاءات ، وأنا أبغض النفاق »

وعاد بتفحصها من جديد بعينه وقال :

« إنه سابق لأوانه بعض الشيء أن أقدم التهاني على الخطبة ، كما اعتقد
ولكن من المحتمل أن ما كسر في انكثرتا يمكن رصلاحه هنا في غواماسا »

« إذا كنت تشير إلى حقيقة أن فاليب كان الرجل الذي خطبت له في
الماضي فالتهاني ليست في محلها فلا أحد منا يفكر في إصلاح ما كسر في
انكثرتا »

« اعتذاري يا آنسة كارول ، ولكن ربما تغيرين رأيك عندما يتم مشروع
موعد العشاء »

« مشروع موعد العشاء لن يتم وإذا كان في الأمر ما يمنحك أي شعور
بالرضى يا سنيور فالواقع أنني لم أعد أستلطف فيليب كثيرا »

« الإنسان ليس بحاجة إلى الاستلطاف كي يحب ، وداعا يا آنسة كارول ،
من الأفضل أن نفترق الآن قبل أن نقال في سورة الغضب كلمات لا تغتفر »
وقبل أن تبين تحركه إتخذ مكانه أمام عجلة القيادة وانطلق بالسيارة في
نعومة بينما امتلأت عينها بالدموع فلم تر السيارة تمضي ، وعندما اختفى

استدارت وركضت نحو البيت بزرقة مكبوتة فجرت الدموع من عينيها ،
وانتهت مباشرة نحو غرفتها قبل أن تراها نيسا أو تيريز وهي على تلك الحالة .
وفي الحجرة الغربية جلست فوق السرير وبدأت تبكي لغير ما سبب مفهوم ،
وانما فقط لأنها أحست بالرغبة في ذلك ، ثم شعرت بالخجل رغم أنها
كانت لا تزال متزعجة ونهضت وخلعت الثوب الأخضر وغسلت عينيها
وارتدت زيتها الأبيض النظيف كأنها بذلك تضع حاجزا بينها وبين التفكير في
فاليب وما حركه فيها من الأحاسيس .
وعندما نزلت أخيرا ومقتها نيسا التي كانت راقدة فوق الأريكة بنظرة حائرة
وسألها : « هل أنت بخير ؟ تبدين شاحبة »

« أنا بخير ، شكرا »

« أعتقد أنك كنت تبكين »

« دمعت عيني ب سبب التراب »

« لم تكونا دامتين عندما وصلنا الى البيت ، ماذا حدث ؟ » هل تشاجرت
من جديد مع فاليب ؟

« أجل .. كلا .. في أي حال .. هو لا يكتفي »

ثم قالت بانفعال لم تتمكن أن تتحكم فيه : « أنني أمقته .. لا أعتقد أنني
قابلت مخلوقا كرهته أكثر منه »

« هذا ما استنتجته »

وكان صوت نيسا جافا لكن القلق كان في عينيها .. هل نجت كارول من
حب فيليب لا يلاذ لتجد نفسها ضحية نوع من الحب أكثر خطورة سيجعلها
فريسة نعاسة جديدة وهي التي لم يبق لها في الحياة إلا القليل ؟ وقالت :
« اضغطي على الجرس كارول لتحضر تيريز ، أعتقد أننا نحتاج لبعض
الشاي »

وتكلمت كارول ابتسامة وهي تضغط على الجرس الفضي الصغير فوق
المائدة وقالت : « الشاي دواء كل علة »

وجعلت صينية صغيرة الى غرفة الجلوس وسكبت الشاي لها ونيسا في
حين عادت تيريز الى المطبخ لتعد العشاء ثم لفرعها رأيت من خلال النافذة
سيارة سوداء كبيرة تهبط بالوقوف وتصورت لحظة أنه فاليب عائد لسبب ما ،
ولكن النظرة الثانية برهنت أنها مخطئة إذ رأيت ماريثا أكواراس تنزل منها وتصل

طريقها عبر الممر . ونظرت الى نيسا قائلة : « يبدو أن زائرة مقبلة إلينا »
وفي الحال ظهرت ماريثا كأن واضحا أن شيئا ما يشغل كثيرا ذهنها ولو بدت
متعاسكة في الظاهر وقالت وهي تنقل بصرها بين الاثنين : « مساء الخير »
وجلس ماريثا في حين ذهبت كارول تطلب فنجانا آخر من تيريز مدركة
أن عيني الفتاة البرتغالية تتابعان كل حركة تصدر منها . ما الذي كانت ماريثا
تفعله في ذهنها ؟ كانت آخر مرة شاهدتها لاهية مريحة . وطرقت نيسا
الموضوع مسألت مباشرة : « ما الخبر يا ماريثا ؟ »

كان واضحا أن ماريثا اعتادت أن تقضي بمتاعبها الى نيسا ، فقد تقلص
وجهها في يؤس وتمتعت بضوت مختلق بالعبيرات :

« إنني في مأزق سيء للغاية »

« ليس الأمر بكل تأكيد سيئا كما يوحي التعبير »

« ووقفت كارول قائلة :

« علي أن أقوم بكي بعض ملابسني . فأرجو المذخرة لخروجي »
وفي الحال قالت ماريثا :

« لا نذهبي ، أنت وحدك تستطيعين مساعدتي يا أنسة كارول »

« كيف أستطيع مساعدتك ؟ »

« تعرفين أنني عن قريب سأخطب لمانويل »

« فهمت ذلك ، لاحظت مدى تعلق أحدكما بالأخر »

« أجل يا سنيوريتا وإنني سعيدة للغاية »

فنهت نيسا : « إذا ما الخبر ؟ هيا يا ماريثا أفصحي عما بك ، سبق أن
جسني بمتاعبك وظهر أن حلولها سهلة »

« إنها مختلفة هذه المرة »

وعادت النعاسة الى وجه ماريثا وهمست :

« إنها بخصوص الرسائل كنت صغيرة وطائشة »

« تعنين أنك كتبت رسائل لشخص ليس مرغوبا فيه ؟ »

« كنت طائشة ومتهورة والآن يفرض علي بعض الشروط قبل أن يعيد الي
هذه الرسائل »

وسألت نيسا : « من يكون هذا الشخص الكره غير المرغوب فيه ؟ »

وارتعت عينا ماريثا في نهيب وهي ترفعهما نحو كارول وقالت :

« لا أحب أن أقول عنه إنه كرهه وغير مرغوب فيه وهو صديق لك كما هو مفهوم »

قالت كارول بهدوء وهي تنظر الى ماريتا :

« أعتقد أنها تعني فيليب لايلاند أليس كذلك ؟ »

« نعم إنه فيليب لايلاند »

وهنا افترحت عليها نيستا : « احكي لنا القصة بأكملها منذ البداية »

« كنت طائشة ومتهورة وأيضاً صغيرة جداً ، عائدة لتوي الى خواصاما بعد اجازة في البرتغال وكان فيليب لايلاند جديداً في الجزيرة واستلطفته لكن لم أكن أستطيع دائماً أن أهرب من الرقابة . ولذا كنت أكتب اليه أحياناً ، ليست رسائل كثيرة ولكنني لم أكن متحفظة فيما أكتب »

وسألت نيستا : « والآن أظنه يهددك بهذه الرسائل . ما الذي يريد منك ؟ »

« لا يريد مني شيئاً »

وارتفع حاجبا نيستا في دهشة وأسمرت ماريتا نضيف : « إنها الآنسة كارول

التي يرغب في رؤيتها »

« يريد أن يراني أنا ؟ »

وتساءلت كارول بعينين مدققتين : « ما الذي يسعى اليه فيليب ؟ كيف يمكن أن تعرف رجلاً لمدة سنوات ثم في فترة قصيرة لا تتجاوز بضعة أسابيع تبين حقيقة ما كان عليه ؟ وسألت بصوت مرتفع « وإذا لم أذهب لرؤيته ؟ »

« سيعطي الرسائل للسينيورا كوريستينا ، لكنك ستساعدني ألا تفعلين ذلك يا آنسة كارول ؟ »

واجتاحت كارول لحظة تفكير لتدرك أن السينيورا كوريستينا المنار اليها كانت في الغالب والدة مانويل ، ثم تحركت يداها بحركات مضطربة وهي تقول :

« سأساعدك اذا استطعت ولكن علي أن أكتشف أولاً ماذا يريد مني فيليب »

وسألت نيستا الفتاة البرتغالية « فيليب ، ما الذي أخبرك فيليب أن تفعله ؟ »

« لم يخبرني بشيء »

وفتشت ماريتا في حقيبة يدها الثمينة عن قطعة ورق وقالت :

« هذه الورقة أرسلت الي منذ وقت قصير وجئت في الحال »

وأخذت كارول الورقة وتعرفت الى خط فيليب وقرأت :

« أيتها الفتاة الصغيرة (هكذا استهلها دون استعمال أي اسم) رغم ما يبدو من أنك خضعت لرغبات أسرتك أحب أن أذكرك بأن لدي بعض الرسائل التي لا بد ستكون مادة قراءة مثيرة لمانويل الفاضل ووالدته . وأنا أقترح أن تطلبي من كارول أن تأتي لتناقش بشأنها . كنا صديقين وربما أعطيها لها بشروط معينة »

وفي صمت ناولت كارول الرسالة الى نيستا التي قرائتها بشفتين مزموختين ثم قالت ناظرة الى كارول : « حسناً ، لو لم يكن شيئاً آخر قد شفاك من افتتانك بهذا الشاب الكره فان هذا الأمر كفيل بالمهعة »

وأومأت كارول بالموافقة قائلة :

« إنني في دهشة ، كيف يمكن أن نخدع الى هذا الحد في شخص ما »

وسألتها ماريتا بعينين واسعتين « أنت أيضاً وقعت في حبه في وقت ما ؟ »

« كنا سنزوج ولكنه خدعني ولا أعتقد أنني كنت سأجيء الى الجزيرة لو علمت أنه هنا ولكن الآن يبدو أنه من الصدف الطيبة أنني جئت »

والثقت عينها مباشرة بعيني نيستا حينما أضافت :

« لدي ما أمسكه على فيليب وهو لا يعرف عنه شيئاً »

وتصلب وجه نيستا وقالت : « هل ستخبرينه حقاً ؟ »

« سأفعل اذا بدأ يعمل شروطه علي »

إنني لا أريد أن أهبط الى مستوى السلوك الذي صار من الواضح أنه يجيده ، لكنني بدأت أعتقد أن الانسان يجب أن تكون لديه مبادئ قليلة جداً عند التعامل معه . ثم امتدارت ناحية ماريتا قائلة :

« لا تقلقي يا سينيوريتا أكواراس . سأعبد اليك رسائلك »

وأضاء وجه ماريتا وقالت :

« كنت أعرف أنك لا بد ستساعديني يا آنسة كارول شعرت عندما تقابلنا أنتم سنصبح صديقين »

وفجأة سألت كارول الفتاة : « هل أرسل اليك فيليب الرسالة عصر اليوم ؟ »

وأومأت ماريتا قائلة : « أجل ، كان من المفاجأة ، لم أكن قد رأيته منذ أسابيع واعتقدت أنه نسي كل شيء ورنني في أمان ثم وصلني الرسالة »

وهزت كارول رأسها وفجأة انبثقت لها فكرة لا بد أنه كتب الرسالة نوا بعدما تركوه ، حينما أصرت علي عدم تحديد موعد محدد للمقائعهما . كانت دوافعه

لا تزال غامضة بعض الغموض ولكن كان من الواضح أنها تخصها هي أكثر مما تخص ماريتا ، وإلا كان قد أقدم على ذلك عقب ما أذيع عن قرب حدوث خطبة بين الفتاة البرتغالية وماتويل الذي كان جلياً أنه يجمع بين كل ما يلقي الاستحسان من أسرة أكواراس . وقالت لماريتا :

« هل يمكن أن أحفظ بالرسالة ؟ »

وهزت ماريتا رأسها وناولتها إياها وقرأت كارول الرسالة للمرة الثانية ملاحظة بنوع خاص الإشارة إليها ، ربما كان يريد استغلال الرسائل في تهديدها لمقابلته ؟ ولكن لماذا يريد أن يراها ؟ بكل تأكيد لا يمكن أن يكون واقعا في حبها حقيقة ! لا يمكن أن يكون السبب شيئا أكثر من مجرد الكبرياء الجريحة ، فالشخص الوحيد الذي كان يمكن أن يحبه فيليب لايلاند حقيقة هو نفسه وقالت ماريتا : « هل أعلمه إنك ستقابلينه لمناقشة موضوع الرسائل ؟ »

لكن كارول هزت رأسها قائلة : « أعتقد أن ذلك سيكون من الحكمة في شيء إذا استطعت أن تخبريني أين يمكن فأذهب لزيارته بأسرع ما أستطيع » وأومأت ماريتا وكتبت العنوان والتوجيهات للوصول إلى الفيلا التي كان فيليب يستأجرها ثم انصرفت أكثر ارتياحا وسعادة وقالت كارول بعد فترة :

« أتمنى أن ينتهي كل شيء على خير . أحبيت ما رأيته في ماتويل كوريستينا ، وسيكونان زوجين مثلاثمين »

وسألت نيسا وقد كحنت في عينيها نظرة متفحصة رغم ابتسامتها :

« مثلاثمان مثل فيليب وسيلستينا ؟ »

وبدأت تجمع أدوات الشاي المستعملة فوق الصينية ثم قالت فجأة :

« أعتقد إنني سوف أذهب لرؤية فيليب بعد العشاء مباشرة »

« في مثل هذا الوقت من الليل ؟ إن ذلك لا يتناسب مع تقاليد مكان مثل

عواماسا كما تعلمين »

« أعرف ذلك ولكنه أنسب وقت لرؤيته فلا أريد للمقائلا أن يكون علانية .

سأكون في أية حال مقابلة قصيرة للغاية على الأقل أتمنى ذلك »

قادت كارول السيارة بنفسها واتجهت ناحية إحدى ضواحي لورنزيتو وضمت الطريق ببطء وبدأت تبحث بتعجبهم عن بيت فيليب المؤقت . كانت الفيلا مباحة في الظلام ولم يستغرق منها وقتا أن تتبين عدم وجود أحد في البيت .. وأحسَّت بالارتياح لذلك رغم لهفتها على أن تنتهي من الأمر في

أسرع وقت ممكن . وعادت إلى السيارة وأضاءت النور الداخلي وجلست تكتب ملاحظة قصيرة على صفحة منزوعة من مفكرة كانت تحملها معها دائما . وكتبت : « عزيزي فيليب : يسرني أن أقبل دعوتك اللطيفة للعشاء . من فضلك دعني أعرف متى يكون ذلك مناسبا وسأرتب الأمر مع الآنسة بروتون لأكون حرة في ذلك الموعد »

وعادت إلى الفيلا ودفعت الورقة تحت الباب آملّة ألا يكون لديه خدم أو على الأقل لا أحد يستطيع أن يقرأ الانكليزية ، ثم رجعت إلى السيارة واستدارت في اتجاه الطريق الذي أقبلت منه . ولم تكد تقطع إلا قليلا من الطريق حتى رأت سيارة أخرى تمر بها وكانت تسير بسرعة في الاتجاه الذي جاءت منه . كان فيها فاليب وبجانبه تحت رأسا أشقر وتساءلت عما كان يفعل خطيبها السابق في السيارة ، ثم اختفيا عن بصرها . ويبدو أن فاليب رآها كذلك الرجل الآخر في السيارة . لكن أحدا منهما لم يقل شيئا . وأوقف فاليب السيارة بحدّة عندما وصلا إلى الفيلا وقال فيليب لايلاند وهو يصعد السلم : « نماذج الطلبات موجودة بالداخل وإذا وقعتها فسأرسلها فورا في الصباح »

وأومأ فاليب باقتضاب ودخل البيت مع الرجل الآخر ثم وقعت عيناه على قطعة من الورق فوق الأرض وقد تطايرت وانفتحت بتأثير النسمة التي دخلت عند فتح الباب ، وانحنى ليلتقطها وبسرعة تقلصت نظرائه وقال باختصار :

« يبدو أن هذه لك يا لايلاند »

وناوله تاورقة التي كتبتها كارول ، أخذها فيليب وألقى عليها نظرة سريعة ثم سها في جيبه وقال : « سأحضر النماذج »

واتجهت إلى غرفة أخرى يملأه الشعور بالرضى .

باعتبار ما يكتنف هذا اللقاء ، سأمر بك الليلة حوالي الساعة السابعة »

ونظرت نيسا إليها عابسة وهي تضغط شفيتها وقالت :

« إنه شديد الثقة بنفسه ... أليس كذلك ؟ »

« أكثر من اللازم ولكنني لا أظن أنه سيسبب مزيدا من المتاعب بعد هذه

الليلة »

« واستنتجت من ملاحظات ماريتا أنه لبعض الأسباب مرفوض في حياة

عواماسا الاجتماعية ، وهو قطعاً لا يريد أن يفقد منزله تماماً في الجزيرة ،

فلما لم يوافق على ما أرغبه في أن يتركنا أنا وماريتا بدون ازعاج وأن يسلمنا

الرسائل ولا ينش بكلمة عن حماقة ماريتا ، سوف أخبره عن موتى المترقب

وسأهدده بأن أدع الجميع في الجزيرة يعلمون بما حدث »

« تملكين سلاحاً مريعاً ولكنه فعال للغاية »

« أعترف أنه يؤلمني كثيراً اذاعة ما حدث ، لكن من ناحية أخرى فالوقت

المتبقي قصير للغاية ولن أدع فيليب يتسبب في شقاء ماريتا ، يكفيه أن تسبب

في شقائي »

وسكتت لتبتسم وقالت مداعبة : « أعلم أن ذلك يبدو كتمثيلية مؤثرة ،

لكنني أحب ماريتا ومنذ جئت الى هنا تبنت النشأة المحافظة لبعض هؤلاء

الفتيات البرتغاليات .. إن السنيورا العجوز تبدو لي متشدة جداً بصدد مثل هذه

الأمر . ولست أعرف شيئاً عن السنيورا كوريستينا ، لكن هذا الأمر سيؤدي

غالباً الى فسخ خطبة ماريتا اذا كانت من نوع السنيورا أكواراس . إن ماريتا

تبادل حياً صادقاً مع مانويل ، فيليب يحطم ذلك الحب »

« هببت فيليب مرتين .. فهل أوحى اليك بأية فكرة عما يمكن أن يطلبه

منك ؟ »

« على ما أعتقد .. التخلص من الملل ، إنه لا يحبني حقيقة رغم أنه صرح

بذلك »

« حسناً ... حسناً »

واستدارت ناحية الباب متنهدة وقالت :

« أعتقد أنه من الأفضل أن أرتدي الآن ملابس رشيقة رغم أن السهرة التي

نتنظرني لا تطيب لي البتة . لا أعتقد أنني احتقرت أحداً كما احتقر فيليب في

هذه اللحظة »

٨ - الكلمة الفاصلة

انتظرت كارول بضعة أيام قبل أن يصلها الرد من فيليب ، كانت لهفتها

على ذلك اللقاء من أجل ماريتا المخلوقة الزئبقية ، فمن المحتمل جداً أن تغرق

في لجة اليأس الأسود اذا لم تسترد الرسائل بسرعة . ولغير ما سبب لم تستطع

أن تحول دون مقارنته بفاليب ولم يكن ذلك في صالح فيليب في شيء .

ففاليب كان يملك من الرقة والشرف الرفيع ماتصورت يوماً أن فيليب يملكه

وكيف يمكن أن يكون عليه حال فتاة يحبها فاليب ؟ ولكن أية فتاة تستطيع

أن تقاومه اذا أراد بالفعل أن يفوز بحبها ؟

كانت جاذبيته الداكنة شديدة الخطورة واعترفت أخيراً أنها هي أيضاً كانت

ستجدها كذلك ، الآن اذ لم يعد الافتتان بفيليب يعمي عينيها ، لولا أنها

تدرك أنه لم يعد للحب أي معنى في حياتها . وذهبت متوترة الى الشرفة

الصغيرة وفكرت في أن تفرز في كتاب أساطير سميتها الممقوتة ، لكن فاليب

كان هو الذي أعارها الكتاب ، وكان من المحتمل أن تفكر فيه لهذا السبب

أيضاً ، وبدون شك كان هو من ترمز اليه يد أسرها القاسي الذي لم يدعها

تنطلق الى فيليب في حلمها القديم ، ليس بالطبع لأي سبب شخصي من

جانبه ولكن لمجرد الرغبة في اظهار قوته .

ووصلت رسالة فيليب قرب المساء يطلب فيها أن تقابله في تلك الليلة .

ونجهم وجه كارول حينما قرأت التهديد المستمر في كلمات الرسالة البسيطة ،

وأطلعت عليها نيسا قبل أن تبدز في ارتداء ملابسها للموعد البغيض وكانت

قد تلقت موافقتها بدون تردد على الخروج ... وقرأت نيسا :

« عزيزتي كارول .

شعرت أنك ستكونين متلهفة بالتأكيد على التحدث عن الأيام الماضية

وسكنت وقفزت الى عينيها نظرة غريبة لم تستطع نيستا أن تقرأها وقالت :
« إنها تبدو أشبه بحالة جهنم بلا غضب »

وهزت نيستا رأسها وابتسامة شاحبة قالت : « كلا يا عزيزتي ، أعتقد أنني أعرف بالضبط ما تشعرين به ، فعندما مرت الصدمة الأولى وأصبح التهكم على القدر استسلاما بدأت تشعرين أن كل شيء حدث لمصلحتك ولأنك ماكنت تريدن الحياة بدون فيليب .. ولذلك صار الأمر أسهل احتمالا ، فقد كان على العقل أن يقيم دفاعا ما ثم رأيت فيليب من جديد وظننت أنه مازال يحبك وأن حبك له أصبح أكبر مما كان قبلا ، وهذا من جديد جعل الأمر أسهل احتمالا ، فبحمايته من معرفة ماتسبب في حدوثه لك كنت ترتفعين بجبك فوق مستوى الأرض . وربما ظننت لاشعوريا أنك شهيدة الى حد ما »
وسألت كارول مع بزوغ ابتسامة في عينيها : « والآن بماذا أشعر ؟ »
« بأنك خذلت . لم تعد لديك الأسباب التي جعلتك تستسلمين لما حدث لك ، فذلك الفيليب الذي اقتنعت به وكنت على استعداد لأن تموتي من أجله لم يعد له وجود ، إنك تريدن من جديد أن تعيش »
« لقد أردت دائما أن أعيش »

« أجل ، ولكن مع استسلام لاشعوري جعل الواقع أكثر سهولة . أما الآن فانها تبدو إهانة لك أن تموتي بسبب شخص مثل فيليب الذي اكتشفت حقيقته »

« لم تكن غلطته في الحقيقة ، كيف كان له أن يعرف أنني سأتصرف على ذلك النحو المتهور بالعبور أمام سيارة سافعة ؟ »

« صعقتك الصدمة التي تسببت في تصرفك على ذلك النحو ، ربما لا فهو مازال مسؤولا أدبيا ، ولدي رغبة عارمة في أن أراه متزلا بطريقة ما »
« ربما لا أحتاج لإخباره ، أتمنى أن أقنعه بدون اللجوء الى ذلك . إنني أكره فكرة الإبتزاز لكنه ضعيف الى حد كبير وربما يكون الأمر بالغ الشدة على ضميره »

والثوب شفتا نيستا باحتقار وقالت : « ليس فيليب لايلاند ، اذا كنت تتصورين أنه قد يقدم على الانتحار فيمكنك أن تنسي ذلك في الحال . إنه ضعيف ، أجل ولكنه لن يتحرر . إنه يحب نفسه كما لم يحب امرأة أبدا وسيجد ميرا لتصرفه اذا تحرك ضميره »

ونظرت في ساعتها وقالت : « والآن أعتقد من الأفضل أن تمضي لتستعدي ، سوف يصل ذلك المخلوق الكريه في أية لحظة »

وأومات كارول وانجذبت في بطيء ناحية السلم وصعدت الدرجات برأس مطرق ووجه عابس قليلا محاولة أن ترتب في ذهنها بعض الأشياء التي ستقولها لفيليب ، رغم أنها كانت غالبا ستضيع منها عندما يحين وقت النطق بها . وعندما وصلت الى الغرفة فتحت خزانة ملابسها واستعرضت الأثواب المعلقة وفكرت في صورة مورغانا لو فاي في الكتاب الذي استعارته من فيليب وارتمت على شفتيها وهي تخرج الثوب الأسود المخملي ابتسامة تشبه تلك التي كانت للمرأة في الصورة .

ورفعت نيستا بصرها عندما سمعت وقع أقدام خفيفة تهبط السلم ببطء ، بدت أشبه بخطوات كارول .. وأيضاً لانتشبه خطواتها . وأحست بشعور غريب يغمرها لم تستطع تعريفه عندما دخلت الفتاة الغرفة . كان الثوب الأسود المخملي رائع المخطوط وكان يشكل الجسم التحيل بطريقة جعلت الفتاة التي كانت ترتديه غريبة تماما . وابتسمت كارول ببطء وكانت هذه الابتسامة أيضا مختلفة عن الابتسامة المعتادة ، وقالت : « هل يعجبك ثوبي ؟ »

« تبدين مختلفة ... قاسية »

« فيليب جعلني قاسية »

« لاتتمادى كثيرا في اتخاذ شكل مخالف لطبيعتك يا كارول »

ثم اصطخب صوتها بالتحذير الحاد وهي تقول :

« هذه الأسابيع الأخيرة الأقسى احتمالا ، الآن كل التعقل انتهى ، وكل الأوهام تلاشت ولكن إياك أن تفقدي نفسك ، احتفظي بإيمانك يا عزيزتي لاتكوني مورغانا لو فاي »

« ربما كان علي أن أتصرف بطريقة أقرب الى طريقة الاسم الذي أحمله ، حينئذ يأتي فيليب الي حتما زاحفا مثل جرو صغير لزريت عليه اذا كان مزاجي رائعا ، أو أصرفه بعيدا عند اللزوم »

وماكان لذلك أن يدوم طويلا فقد كانت كارول شديدة الصدق مع نفسها ولكن ربما كانت على صواب ، ربما كانت هذه الليلة بحاجة الى مورغانا لو فاي للتعامل مع فيليب لايلاند الذي كان على ما يظهر قد وصل . وفي تلك اللحظة أحست نيستا نحوه بشيء من الأسف ، لقد كان يعرف مورغانا لو فاي

كارول فقط ، لا الشخصية التي أصبحت عليها الليلة ، جامدة وقاسية وذات جمال خرافي .

وانتقلت نظرتها اليه عندما ظهر في الغرفة ولححت تعبير الصدمة الذي مر على وجهه عندما رأى الفتاة في الثوب الأسود المخملي ، وبصوت متمرج فيه السخرية بالتعالي قالت كارول :

« تأخرت فيليب ، كنت تستطيع بالتأكيد أن ترتب حضورك في الموعد تماما لأهمية المناسبة ، إنني على ثقة بأنك متلهف مثلي لمناقشة الماضي »
وقال بلهجة مقتضبة كما لو كان مضطرا الى ذلك للسيطرة على شعوره بالإئزعاج : « آسف يا كارول على تأخيرتي ، نستطيع أن ننصرف حينما نكون مستعدة ، حجزت مائدة في مطعم ديسكاني »

وارتفع حاجبا نبيستا عند سماع الاسم وقالت :

« ديسكاني هو مطعم خواماسا الأول ! »

« ولكنها مناسبة ذات أهمية أليس كذلك يا فيليب ؟ »

ورمقها فيليب بنظرة حذرة لم تصل الى عينيها وسأل بصوت مرتفع :

« هل نذهب ؟ »

وأشارت كارول برأسها بدون أن تتكلم وكانت حركة سواء متعمدة أم لا شعورية ، تنطق بالاستعلاء والاستبداد كما لو كانت ملكة تهب معروفا .

وكان مطعم ديسكاني شأنه ليلة المهرجان ، لكن كارول في هذه الليلة بدت كأنها تراه من خلال غلالة . المصاييح المعلقة بين الأشجار أشياء من عالم آخر ، ورائحة النباتات المزهرة بين الموائد أشبه بالبخور العتيق والشاب الداكن النجيل ، ذو الصوت المخملي مازال يتجول بين الموائد مترنما بأغانيه العاطفية ولكن في تلك الليلة أحست كأنها حبيسة قوقعة جامدة حقا مورغانا لو فاي ، برغم رغبتها في أن تهرب لتعود مجرد مورغانا كارول البسيطة من جديد .

وبدا أن فيليب شفى من ارتباكها واخذت عيناه تتفحصانها بتقدير جديد . وقال : « إنك تريدن ثوبا غير عادي »

« أجل أعتقد ذلك ، ولكنني الآن أمتلك مجموعة من الملابس الجاهزة لأنني أنفقت كل مدخراتي قبل أن أتى الى هنا »

« اعتدت أن تكوني دائما مقتصدة ، مالذي دهاك اذن »

« اكتشفت إنني لم أعد بحاجة الى المدخرات ، وقصدت أن أجعل هذا

الرحلة أجازة أنذكرها طول العمر »

« أتعرفين أعتقد أنك تغيرت يا كارول »

« حقا ! كم تبدو سريع الملاحظة يا فيليب ، كان من المحتم أن أغير فأشياء كثيرة حدثت لي كما تعرف »

« أجل أعتقد ذلك »

« حسنا يا فيليب ، أعتقد أننا تكلمنا بما فيه الكفاية دعنا ندخل مباشرة في موضوع الرسالة التي بعثت بها لماريتا هل تفعل ؟ »

« ليس بعد ، مازال الوقت مبكرا »

« ولكنه متأخر بما فيه الكفاية لما يجب أن يقال وليس في نيتي أن أطيل فترة هذا العشاء ، تعرف جيدا أنني ترددت في القبول عندما طلبت ذلك مني من قبل ، في المعسكر »

« ومع ذلك جئت ! »

« تحت التهديد ، لاتخذ نفسك يا فيليب ، لم يكن ذلك عن طيب خاطر مني والآن أخبرني عن شروطك لإعادة هذه الرسائل »

« لاشيء يشير الفرع أو يستعصي على الاستجابة ، ستحصل ماريتا على خطاباتها حينما تعطيني أنت وعدا بالآ تتجيبيني وأن تقبلي دعواتي . وسأعطيك خطابا في كل مرة نتعشى فيها معا »

« وماذا بعد ؟ وفي بحر ذلك الوقت يكون من المفروض أن أقع تماما تحت تأثير سحرك لأرتحمي في أحضانك من جديد »

« تصوير الأمر على هذا النحو يظهره نوعا من الغرور »

« حسنا ، أأست مغرورا ؟ وهل هناك سبب آخر لإرغامي على مقابلتك ضد رادتي ؟ إنك لاتتوقع مني أن أصدق بأنك جاد في حبك لي أليس كذلك ؟ »

« وكيف تعلمين أنني لست واقعا في حبك ؟ أستطيع أن أكون كذلك الآن بمنتهى السهولة »

« لأنني تغيرت وأستطيع أن أرى حقيقتك بوضوح »

« آوه ليس »

« نعم يا فيليب كنت مجنونة بحبك والآن أجدي أنال من غرورك ، أليس كذلك ؟ »

« صفني الأمر بما يحلو لك ، هل متوافقين على شروطي أم لا ؟ »
« لن أوافق وأعتقد أنك أنت الذي ستوافق على شروطي »
« شروطك ؟ تذكرني أن رسائل ماريثا أكواراس في جوزني »
« أجل يا فيليب أعرف ذلك جيدا ، ولكنني مازلت أعتقد أنك ستعطيني هذه الرسائل وستوافق على أي شيء آخر أقترحه »
« وأي شيء آخر سوف تقترحه ؟ »
« ستعطيني الرسائل ولن تنفوه بكلمة لأحد عن حماقة ماريثا ولن تحاول أيضا مضايقة ماريثا أو مضايقتي مرة أخرى »
« ما الذي يرغمني على ذلك ؟ »
« لأن هناك شيئا مازلت لا أعرفه يا فيليب ومازلت أذكره أن أعرفك به ، في الماضي حميتك من معرفته لأنني أعتقدت أنني كنت أجلك »
« وكان صوتها باردا للغاية حينما اتجهت عنها نحو وجهه مخدرة وقالت :
« لو كان عندك ضمير ومن أجل راحة بالك لاتسألني عن ذلك الشيء
لأنني متأكدة أنك مستندم ، لاتجعلني أخبرك وكذلك بقية الجزيرة بل وافق على شروطي »
« هل تتوقعين مني جادة أن أوافق بدون أن أعلم حقيقة مانهديني به ؟ »
« هذه فرصة يجب أن تتصمسك بها »
« حسنا ليس في نيّتي أن أفعل »
« حسنا جدا ، هل تذكر الخطاب الذي أرسلته الي يا فيليب ؟ »
« أكدت إيماءة أنه يذكر فاستطردت هي قائلة :
« تستطيع أن تتصور اذن أنه صدمني عندما تلقيته ، خاصة أنه كتب بطريقة جافة حتى أنني في الورق نصرفت بشيء من الحماقة »
« بل إلهي يا كارول ، إنك لم تحاولي الانتحار ! »
« وكان رعبه مضحكا للغاية حتى أنها ضحكت ضحكة جوفاء بدون طرب »
« وقالت : « لانكن مغرورا الي هذا الحد لايد أنني لاشعوريا أدركت حتى في ذلك الحين أنك لاتستحق ذلك »
« يجدر بك ألا تكوني عفيفة في حكمك علي »
« إنها غلطتك ، أمازلت تريد مني الاسترسال ؟ »
« أعتقد ذلك »

« لو حاولت الانتحار كنت ستصير مسؤولا أدبيا لأنك خذلتني قبيل زواجنا ببضعة أيام فقط ودون أن تكون لديك الشجاعة على أن تخبرني وجهها لوجه .
إذا كنت قد حاولت الانتحار ، فما أظنك كنت تريد لأهل الجزيرة أن يعرفوا شيئا عن ذلك فأنني أعتقد أنني بدأت أعرف البرتغاليين جيدا لأنني لأعنيهم شخصيا في شيء ، ولكنهم متطرفون في عاطفتهم ، ونعاطفهم سيكون كله معي وأعتقد أنك على الأرجح ستصير منبوذا خلال إقامتك في الجزيرة »
« ولكنك لم تقدمي على ذلك ، وفي أية حال كان يمكنني الإنكار حتى ولو كان ذلك صدقا »
« ولكنك لا تستطيع أن تنكر حقيقة حتمية ، هل تريد أن تسمع المزيد ؟ »
« وأوما بالإيجاب واستمرت هي مدركة ومتقبلة أخيرا أنها يجب أن تخبره :
« يوم تلقيت رسالتك فوجئت وصدمت حتى صرت في حالة أشبه بالذهول فوقعت لي حادثة نزلت عن الرصيف ولم أر السيارة المقبلة »
« ولكنك في زية حال شفيت وزعتقد أنك مخطئة قليلا في حكمك على أهل الجزيرة ، إنهم لايعجبون بالجين الذي تنطوي عليه محاولة الانتحار »
« ومن جديد تحطمت الفوقعة الصلبة وتلقى نظرة مشتتة من كارول الغاضبة لأقصى حد اذ قالت :
« ربما كان ذلك جينا ، ولكنني لأعتقد أن الأمر كان كذلك . كنت من الذهول وقت الحادث بحيث لم أشعر بشيء حتى في التفكير بالانتحار »
« الي أي شيء تهدفين ؟ »
« وأحس بشيء يحذره بالأ يتمادى في حثها على الاسترسال وأن يقبل شروطها دون أن يعرف ماكانت تخفيه عنه ، لكنه من ناحية أخرى لم يكن يستطيع الاقتناع بأنه كان أمرا مجادا ، وقالت كارول بوضوح :
« لم أشف من الحادث وسوف أموت بعد أقل من شهر هكذا أعلنته بوضوح تام وحزم ! »

« أعتقد يا عزيزتي أن كلا منا مرتبطة بالأخرى وأنت متيقن هنا وقت
يمكن ليس كذلك ؟ »

« سأبقى ، لم أقم في الواقع بأية ترتيبات ، لم أكن أعرف ماذا أفعل ، كنت
أفزع من الرحيل ، ولكنني لم أكن أريد أن أسبب إزعاجا لأحد »
وقالت نيسا وهي تقاوم دموعها : « لا تكوني مضحكة »

وبسرعة غيرت الموضوع وسألتها « هل استرددت رسائل مارينا من فيليب ؟ »
« في اليوم التالي مباشرة وقد حرصت على أن أعيدها إليها بدون أن يرتاب
أحد في الأمر ثم تلقيت منها رسالة يتدفق منها المرح لارتفاع روحها المعنوية »
« إنها طفلة لطيفة وإني مسرورة لأنك أتقدها من مازفها ، لكنك لم
تخبريني عما حدث بالضبط »

وابتسمت كارول ابتسامة خفيفة وقالت

« كان رد فعله بالطريقة التي تصورناها »

وسردت النقاط الرئيسية للمناقشة التي دارت بينها وبين فيليب ، وهزت
كفها قائلة في النهاية .

« بعد مكالمته الهاتفية عدنا نوا إلى البيت بدون أن نبادل كلمة تقريبا »

وأحست نيسا كالعادة بأن كارول لم تفصح بكل شيء وسألت بهدوء :

« هناك شيء آخر ، أليس كذلك ؟ »

وساورها الشك في أن الأمر يتعلق بفيليب فما كان من فيليب لايلاند
يستطيع أبدا أن يحدث هذا التعبير الملحوظ في الفتاة . وبدت كارول متحفظة
قليلا وقالت : « ليس شيئا ذا أهمية خاصة ، إذ قمت لأنمشي وسط الأشجار
عندما ذهب فيليب ليرد على المكالمات التليفونية »

« ووجدك فليب هناك ؟ »

« كيف عرفت ؟ »

« من السهل معرفة متى تفكرين في فليب . على الأقل بالنسبة إلي »

« تقصدين بنظرة مورغانا لو فاي التي تعتريني ؟ »

« كلا يا عزيزتي ، إنك تخمينه أليس كذلك ؟ »

وبدا للحظة أن مورغانا مستنكر ، ثم أومأت قائلة :

« نعم ، ودون جدوى على الإطلاق بالطبع ، ولكن ذلك قد حدث »

« ماذا حدث في تلك الليلة ؟ »

٩ - المعجزة

رغم أن كارول لم تكن ترى فليب كثيرا ، لكنها وجدت أن مجرد علمها
بأنه لم يكن في الجزيرة ، سلب أشعة الشمس الكثير من توهجها الذهبي ،
وجعل سماء خوامسا أقل زرقة . لقد ذهب إلى البرتغال في رحلة عمل قد
تطول أطول مما تبقى لها . وزفرت قائلة لنفسها : ما أقصر الوقت .

فالآن وقد اقتربت اللحظة كثيرا كان عليها أن ترتب أمورها ، ووجدت من
الصعوبة اتخاذ قرار بشأن ما يجب فعله ، فأن تتقبل ما يجب أن يحدث شيء وأن
تستقر على ما يجب أن تفعله شيء آخر ، ولم تستطع التوصل إلى قرار قاطع
حتى كان ذلك الصباح الذي فاجئتها فيه نيسا بالأمر قائلة :

« ذكرت مرة أنك تتوين حجز تذكرة عودة إلى الوطن ثم تختفين ليلا فوق
ظهر سفينة ، منذ ذلك الحين أتساءل ما إذا كنت تقصدين ذلك حقا »

« حتى لا يتكلف أحد مشقة الجنائز »

« ولكن كيف تتصورين شعوري تجاه ذلك ، أنا أعلم أنك تواجهين النهاية
وحده ؟ إبقى هنا يا كارول وإذا كنت مازلت حريصة على ألا يعرف أحد
فسوف ترتب الأمر ، بالطبع يجب أن نخبر كارول ولكن ليس هناك حاجة لأن
يعرف أحد غيره ، إذا كنت ترغبين في ذلك »

ورابت وجه كارول ، لكنها لم تستطع أن تقرز عليه شيئا وعادت تقول
وهي تلعب آخر ورقة : « أعتقد أنك كنت نعين ماقلة حينذاك ، لكنني لن
أدعك ترحلين وحده ، إذا ذهبت فسأذهب معك »

ورمقتها كارول بنظرة ذاهلة وسألتها :

« لكن مالذي يضطرك إلى ذلك ؟ أنا في الحقيقة لاشيء بالنسبة إليك .

أقصد لست مرتبطة بي على أي نحو »

« كل منا قال أشياء فظيعة ، وذهب هو الآن الى البرنغالي كارها مجرد رؤيتي »

وبدا نيسا كما لو كان فاليب قد تصرف عن شعور بالغيرة ، واستكانت للفكرة وإن كان من العسير تصديقها ونساءلت اذا كان الرجل الساخر الذي كان يعتقد أنه محصن ضد الهجوم ، قد وقع زخيرا ضحية ؟ سيكون أمرا فظيما لو كان ذلك حدث لأن حياة أخرى قد تتحطم عندما يسمع ...

وكفت فجأة عن التفكير اذ أطلقت كارول زفرة ألم مباغت وأمسكت رأسها بيديها وشحب وجهها شحوب الموتى وارتسمت نقطة فزع بين عينيها اللتين ظهر فيها شيء من الدهشة كما لو كان الأمر قد جاءها دون تحذير . وسألت نيسا بسرعة وهي لا تجرؤ على التفكير في أن ذلك يمكن أن يحدث هكذا سريعا : « ماذا بك ؟ »

وكان مجرد آنين خافت هو كل رد كارول ، وهي تقاوم للسيطرة ... من قسوة الطعنة التي أحسست بها في مخها ، ألم حاد عنيف كانت موجهة تنحصر عن اختلاجة خافتة لتعاود من جديد مهاجمتها وتوترت في انتظار الموجة التالية وعندما عصفت بها لم تستطع هذه المرة أن تمنع نفسها من أن تصرخ . وهرعت نيسا اليها بسرعة متحركة بسهولة بعدما تحسنت سابقا كثيرا وطوقت الفتاة بذراعها وسألتها : « أين أقراصك ؟ » وردت كارول الكلمات وهي ترنو بعينيها نحو السيارة الكبيرة محاولة التركيز عليها لكن بصرها كان غائما . وفي مكان ما من عقلها كانت فكرة الأقراص التي أعطيت لها من مستشفى سان كريستوفر . وعلمت أنها اذا استطاعت الوصول اليها فان الألم المفزع سيهدأ ، ولكن أين كانت ؟

وعادت نيسا تسأل : « أين هي ؟ »

وأقفلت كارول عينيها مرتبة من شدة الألم ثم تذكرت وأصغت نيسا الى كلماتها اللاهثة ورفق قادتها الى الأريكة ثم صعدت بسرعة الى الطابق العلوي لتحضر الأقراص . وعندما عادت نيسا كانت كارول جالسة على الأريكة ورأسها بين يديها . وتبينت نيسا عندما قربت كوبالماء من شفطي الفتاة وجعلتها تبتلع القرص أن كارول لم تعد في عيها تمام . ومددتها يرفق فوق الأريكة ووقفت تتأمل باهتمام الوجه الشاب المتقلص الماء ، وترقب بلهفة سريان مفعول القرص . وبالتدريج بدأت الخطوط المتقلصة تلين وعاد بعض

للون الى وجهها واستردت عينا كارول القدرة على التمييز واستقامت
رسم ابتسامة ضعيفة على شفطيها وقالت بصوت ضعيف هامس كأنه أنه
مكان صحيح : « شكرا يا آنسة بروتون آسفة على ما بدر مني ولكنني لم أكن
توقع مثل هذه البداية »

وأسرعت نيسا باخفاء عبارات هددت بالانهمار من عينيها فلم يكن هذا
وقت للدموع وسألت بصوت حاد : « كيف الحال الآن ؟ »

« أحسن كثيرا . كل ما أستطيع الاحساس به هو اختلاجات ثقيلة في
الخلف قالوا أن ذلك قد يبدأ قبيل الاوان »

« لن تجادليني ثانية يا فتاتي ، سنذهب الى كارل بمجرد أن تشعرني بالقدرة
على ذلك . كان يجب علينا أن نذهب اليه من قبل . إنها غلطتي اذ تركتك
تفنعيني بعدم اخباره حتى الآن »

واسلقت كارول وهي تشعر بحالة اعياء غريب وأن لم يكن في الحقيقة
غريبا نظرا لما عانته ، وأحسست بهدوء مريح حتى الاختلاجات لم تعد شيئا
يذكر بالمقارنة بما كانت عليه الحال في البداية . كان كل شيء يبدو غير
حقيقي بتأثير القرص حتى خيل اليها أنها رأت فاليب واقفا على عتبة الباب ،
ما كان يمكن أن يكون هو بالطبع ، ولكنه فقط هذيان عقلها وشوق قلبها ،
كان فاليب في البرنغال ولم يكن سيعود إلا بعدما ينتهي كل شيء .
وقالت لأوهاما المحسومة :

« مرحبا يا فاليب عدت بسرعة إنني مازلت هنا ولكنني لن أبقى طويلا »
وبدا ذلك لذهنها المسترخي المخدر دجبة عظيمة ، وضحكت له ، أو
بالأحرى لطيفة في هذيانها غير مدركة على الإطلاق لما كانت تنفوه به وهي
تكلم مطمئنة محاولة أن تبتسم ومتعجبة للألم الذي يصاحب ذلك .

« لانتقل ، أعرف أنك لا تستلظفني لكنك لن تكون مضطرا الى التعامل
معني طويلا لأنني سأموت سريعا »

وقال الطيف الذي ظهر أمامها في هذيانها ولكنه فاليب البرنغالي الحادة
الجدابة : « لا تمزحي في مثل هذا الأمر »

« أوه ، لكنني لا أمزح ، كلهم قالوا أنه لاجدوى ، كان من المفروض أن
أموت في الحال لكن ذلك لم يحدث إنه نوع من تأجيل تنفيذ الحكم »
وظهر شخص آخر على عتبة الباب وقهقهت كارول بضعف قائلة :

« أوه ، مرحبا يا نيسا هل عدت ؟ إنك لست طيفا أيضا أعرف أنك حقيقة ، ولكن طيف فاليب هنا ، هل تستطيعين رؤيته ؟ »
ثم تكاثف الضباب وتراجعت أصواتهم بعيدا في الأغوار ووجدت نفسها من جديد تسبح في الكلمات الناعمة التي كانت سبحت فيها حينما وقعت الحادثة ، وابتسمت وهي تفقد الوعي كأنها عائدة الى مكان عزيز لديها حيث لا شيء يحدث ولا شيء يؤلم : أرض من الظلمات الناعمة الغامضة لا يستطيع أحد أوشيء أن يصل اليها .

أم أنهم كانوا يستطيعون ؟ أحست أن شخصا يرمقها وكانت تستطيع أن تقسم أنه كان فاليب . هل يمكن الاحساس بالطيف تماما كما يمكن سماعه ؟ من الأغوار الحقيقية سمعت أيضا صوت نيسا يصل بغير وضوح الى أذنيها ، كانت تخبره عن الحادثة ونتائجها ، وبين الحين والآخر عندما كانت نيسا تسكت لتلتقط أنفاسها ، كانت هي تضيف لمحات صغيرة متسائلة لماذا كان طيف فاليب مستمرا في ترديد بعض البارات بالبرتغالية ... ولماذا كان وجهه مازال على رماديه الغرية . وقالت بضحكة واهنة :

« إنك تبدو مضحكا للغاية يا فاليب هل أنت مريض ؟ »

واختنق صوت فاليب بشيء قاله وبعبارة تنحى لنيسا حين استقرت الاثنتان على المقعد الخلفي لسيارته وبسرعة استدار وجلس أمام عجلة القيادة وأحست كارول بتحريك السيارة لكنها بدت سيارة وهمية ، في عالم الخيال السحري وبين الحين والآخر كان ألم حاد يقطعها ويرسم عبوسا بين حاجبيها .

وقالت نيسا حينما بدأت السيارة السوداء الفخمة تنطلق :

« أعتقد أن مفعول القرص بدأ يضعف أو أن الألم يزداد سوءا »

ولم يرد فاليب وكانت عيناه مكدتان في الطريق خاليتين تماما من التعبير . وبدا الوقت أبديا لنيسا وهي تحتضن الفتاة الغائبة تقريبا عن الوعي بين ذراعيها خاصة حينما عاد الأنين الخافت الموجع للقلب بخرج عنوة من بين شفهي كارول . لكن أخيرا ظهرت جدران المستشفى البيضاء ووقفت السيارة وحمل فاليب كارول التي فقدت الوعي تماما ودخل بها المستشفى وقابلهم كارول ونظر الى وجه كارول الأبيض وفي كلمات سريعة خافتة أخبرته نيسا بما حدث . ومدت له يدها بلغافة سميقة وقالت : « وجدت هذه الأوراق في الدرج مع الأقراص إنها التقرير وصور الأشعة التي كان من المفروض أن تعطيلها لك »

واستحبه فاليب للافصاح قائلا : « ماذا هناك ؟ »

ورفع كارول رأسه وهزه وقال بهدوء :

« إنهم على ضوآب ، لا توجد فرصة على الإطلاق »

« بل يجب أن توجد »

وهزت نيسا بدورها رأسها وقالت :

« كانت تعرف طيلة الشهور الماضية أنه مامن شيء يمكن عمله »

« شيء ما يجب أن يكون ممكنا »

كان صوت فاليب جادا متوثرا غير معترف بأي شيء آخر إلا الحفاظ على شعلة الحياة كما لو كان بقوة الارادة يستطيع أن يحول بينها وبين أن تخبر وبادرت عن كارول حركة يأس وقال :

« أمرت باعداد أشعة من جديد لكنني أشك في أنها ستظهر أي أمل »

وبدا الوقت أبديا من جديد بعدما مضى كارول ، لكنه هذه المرة كان أطول من المرة السابقة . وأقبل كارول أخيرا وأحسا في الحال اختلافا في تعبيره وقال « هناك فرصة ضئيلة للغاية لكن يجب إجراء عملية في الحال . المشكلة الوحيدة أنه لا يوجد هنا أحد يستطيع أن يجري العملية »

قالت نيسا في الحال : « وكماذا عنك ؟ »

وهز كارول رأسه قائلا : « لا أستطيع أن أجريها ، إنها إحدى تلك العمليات وأشار بحركة يأس يديه النحيلتين الدقيقتين وقال : « نها تكاد أن تكون بتجربة »

« كنت مستعدا في مرة سابقة أن تقوم بتجربة »

كانت لهجة فاليب قاسية وزادت الصدمة وجه كارول شحوبا وأصبحت الظلال القاتمة التي كانت تغطي عينيه أحيانا شيئا حقيقيا وقال :

« ليالك أن تذكرني بذلك »

« كنت مستعدا في مرة سابقة أن تجري التجربة وتستطيع أن تعيدها مرة أخرى »

« لا أستطيع يا فاليب . إنه أكثر مما يتحملة أي شخص ، لا يستطيع شعوري أن يتحمل وزر موتين »

ورفع يديه الجساستين النحيلتين الى عينيه واستطرد قائلا :

« قد تموت هي أيضا »

وضغطت يدها على عينيه لكنهما لم تستطعا إسكات الصوت القاسي

القائل : « أنت لم ترتكب غلطة في المرة السابقة »
واستدار بحركة رأس وقال : « لأستطيع يا فاليب . أعرف أنني سأخفق ولو
حدث ذلك فأنني سأرغب أن أقتل نفسي »
« اذا كان هناك أقل فرصة لإنقاذ حياتها ولم تقدم عليها فزعتقد أنني
سأقتلك »

« واذا حاولت اجراء العملية ولم أنجح »
ونقلت نيستا بصرها بينها وبين وجه فاليب بهذابه الشرس ووجه كارل
بشحوبه القريب ، وبدأ ذهنها يسأل : من يكون ؟ من يكون هو حقيقة ؟ ثم
عرفت . تذكرت أن كارول ذكرت لها مرة أن جراحا واحدا كان يستطيع
إجراء مثل هذه الجراحة الاختبارية . جراح شاب لامع لام نفسه على خطأ لم
يرتكبه ثم اختفى . هل حدثت المعجزة ؟ وهل هو هذا الطبيب الذي في
خواماسا الآن ؟ وقالت بهدوء : « كارل ، إنني لأعرف الكثير عن العملية
الأخرى التي تتكلمان عنها ولكن اذا كنت تشعر بأن عليك دينا يجب أن
تدفعه فهذه هي الفرصة لتدفع القدينة عن نفسك »
« لقد قتلت مرة ! ويمكن أن أفعل الشيء ثانية »
« ستموت اذا لم تحاول إجراء العملية »

وكانت كلمات نيستا الهادئة هي التي أقتنعت في النهاية فظل صامتا لحظة
طويلة بينما أرهف الاثنان أذانهما لسماع الكلمات التي جاءت
مباشرة : « حسنا سأقوم بالجراحة »

وكان ضغط الصداع مازال أثره على وجهه لكنه بدأ أكثر تحكما في نفسه
بعدما اتخذ القرار واستطرد قائلا : « سأحتاج الى أدوية نادرة وباهظة الثمن للغاية »
وانجذبت عيناه الزرقاوان غير المعبرتين نحو فاليب وقال :
« تذهب الى جامعة البحوث الطبية إنه المكان الوحيد تقريبا حيث تستطيع
الحصول على الدواء وقد تلقي صعوبة في الحصول عليه لأنهم قد لا يوافقون
على إعطائك ولو كمية ضئيلة منه ما لم تقتنعهم بأن الحالة بالفعل طارئة »
« سأحضر الدواء »

وأخذ فاليب قطعة الورق التي كتب كارل عليها اسم الدواء وفي الحال
أغلق يده حول ذراع الطبيب الشاب قائلا :
« لا تقلق يا كارل سوف تنجح من أجلنا جميعا . من أجل نفسك ولكل

أكثر من أي شيء آخر من أجلها سوف تنجح »

ثم إنصرف وأغلق الباب خلفه ونظرت نيستا الى الجراح الشاب الذي كان
يستعد هو أيضا ليركها وسألت : كيف يستطيع أن يعود في الوقت المناسب ؟
« سيتصل من الراديو من القصر ثم يطير الى هناك . وسيكونون حتما قد
أعدوا الدواء وأخذوه اليه في المطار »

« ولكن العملية ، قلت أنه يجب إجراؤها فوراً »

« لن أستطيع الانتظار حتى يعود سأجري العملية في الحال إنها فرصة العمر
اذا ظلت حية بعد العملية فان الدواء الذي طلبته سيجعلها تشفى »

« وهل سيستطيع فاليب أن يحصل عليه ؟ »

« اذا كنت أعرف فاليب فانه سيحصل عليه »

« أجل فاليب سيحصل عليه » وعاد فاليب بعد ساعات مرهقا ولكن
بالأدوية التي كان كارل طلبها ومنها العقار النادر وأخذت منه ممرضة اللقافة
في الحال واختفت بعدما تركته مع نيستا وهزت نيستا رزسها للسؤال الصامت
في عينيه وقالت : « مامن أخبار بعد يا فاليب لقد أجرى كارل العملية . أو أنه
مازال يجريها لم أسمع شيئا على الإطلاق »
« أجرى العملية بالفعل ! »

« كان من الضروري إجراؤها في الحال ، اذا كانت هناك فرصة على
الإطلاق » ثم أضافت محاولة أن تمتنع ذهنيها معا بعض الراحة :
« أخبرني عن كارل ماذا حدث له ؟ »

« كارل جراح لامع للغاية لكنه سمح لما حدث بأن يحطم ثقته بنفسه .
كانت أخته تعاني من ورم في المخ أصابها بالشلل . ورأى كارل طريقة
يستطيع بها امتصاص الورم برغم أن أكثر الجراحين أكدوا استحالة ذلك
وأقنعت أخته بأن يجري العملية وفعل وماتت . ولام كارل نفسه وهو المرحوم
رغم أنها لم تكن غلطته ولكنها كانت إحدى تلك الأحداث غير القابلة
للشرح حينما لا يعيش المريض لغير مناسب ظاهر وعندما قالته كان يحس
متعزلا في قرية جبلية صغيرة » وفتح كلامه عند ذلك الحد وأحد يده
الحجرة في فاق ثم ظهر كارل . كان شاحبا ومجهدا ولكنه مسرورا
وهمس كارل : « سوف تعيش »

١٠ - لمن زينة المدينة ؟

سبحت كارول بهدوء وبطء من عالم الهذيان الى عالم الوعي ، أحست وسط الظلمات أن الألم تلاشى وأنها عادت الى التحقق مما حولها ، أول شيء تبينته أن رأسها كان ملفوفاً بالأربطة ، بدا ذلك غريباً ففتحت عينيها قبل أن تمد يدها للتحقق وكانت مفاجأة أن ترى كارول ونيسا يراقبانها وهممت بصوت ضعيف : « مرحبا »

وردت نيسا بنعومة : « مرحبا بك أيضا »

ولم تذكر كارول أي شيء غير الألم الذي داهمها وتساءلت عن سبب نظرة السرور على وجهي نيسا وكارول . كارول في تعريف التغيير الذي حدث له وقالت لهما : « تبدوان غاية في السرور من الحياة »

وأجاب كارول : « لدينا من الأسباب ما يدعو الى ذلك »

وابتسم عندما رفعت يدا ضعيفة وتحسست أربطة رأسها وأتذرها قائلاً :

« دعني تصفيفتنا لرأسك وشأنها »

حينئذ فقط انبثقت الحقيقة أمامها وقالت : « كارل أجريت العملية ! »

« أجل يا عزيزتي وسوف تبصين والآن عودي الى النوم ولا تقلقي »

وكانت كارول على وشك أن تقول أنها لا تريد أن تنام على الإطلاق وأن لديها آلاف الأسئلة تريد الاستفسار عنها عندما بدأت عيناها تغلقان تلقائياً واستغرقت في الحال في نوم عميق . ولم تعلم إلا بعد مضي فترة طويلة بحالة الهذيان التي انتابها حينما لم تستطع أن تتعرف على أحد ووقفت متأرجحة على حافة الموت في حالة خطيرة رغم الدواء الخرافي الذي حارب لرنقاذاها مقاوما الصدمة التي تنجم للجسم عن مثل هذه العملية .

وعندما فتحت عينيها من جديد كانت ممرضة داكنة هيفاء تقف بجانبها مبسمة وسمعتها تقول شيئاً بالبرتغالية لكنها سرعان ما استغرقت في النوم من جديد . وعند صحبتها الثالثة كانت نيسا بجانبها وفي هذه المرة لم تشعر

كارول بالرغبة في العودة إلى النوم ثانية ، كما كانت فرحة لاحتساسها بأنها أقوى كثيراً من قبل .

ورحبت يا نيسا قائلة :

« استيقظي يا ذات الرأس النائم ، ظننا أنك ستصابين بمرض النوم » .

وابتسمت كارول لأنه كان من الرائع للغاية أن تعرف أنها سوف تعيش . وقالت :

« كما ذلك سيصبح سوء تقدير مني كل ما فعله الجميع من أجلي » .

وبطرف عينيها رأت شخصاً آخر يقترب ، وأدارت رأسها لترى كارل في ردائه الأبيض يبدو شخصاً جديداً ، أكبر سنًا وسألها :

« كيف حالك ؟ »

« أحسن كثيراً » .

ونظرت إليه بالعرفان الذي لم تستطع أن تترجمه عيناها إلى كلمات ، وقالت :

« لم أشكرك بعد يا كارل » .

« أن تعيشي هو الشكر الكافي لي يا عزيزتي ، لفترة ظننا أنك قد تفلتين منا » .

نعم لفترة أوشكت بالفعل أن تنتهي ، وكان يعلم أن العناية الطبية وحدها لم تكن هي التي أنقذتها ، ولكن إرادة الرجل الرمادي الوجه التي لا تقهر ، الرجل الذي جلس بجانبها فترة طويلة ، صامتاً لا يتحرك ، ناضلت ضد الموت وكسبت حتى أصبحت شعلة الحياة الصغيرة ، التي كانت ترفرف على حافة الإنطفاء من القوة بحيث تستطيع أن تنهض من تلقاء نفسها .

وهمت كارول :

« يبدو ذلك أشبه بمعجزة » .

وقالت نيسا :

« إنها معجزة ، ولكن بطريقة مختلفة عما تعتين » .

وابتسمت في عيني الفتاة المتسائلتين واستطردت :

« تذكرين ذلك الجراح الذي ذكروه لك في المستشفى ، الجراح الذي قالوا عنه أن الوحيد القادر على إجراء العملية »

« ذلك ... الذي اختفى » !

وانجبت عيناها الدهريتان إلى الرجل في المعطف الأبيض . وقالت :

« كارل ... إنه أنت ! »

وقال بدو :

« نعم يا عزيزتي ، ذلك الجبان الذي انسل بعيداً ليختفي كان كارل كريستين ، لقد رددت لي الحياة بقدر ما رددت لك » .

ووسط تحقنها الرائع من أن حياة كاملة جديدة أمامها ، فاجأتها فكرة مزعجة ، وسألت :

« هل كنت أهذى ؟ »

« قليلاً » .

كان كارل يبتسم ، فسقط قلبها ، خشيت أن تكون قد باحت بسر حبها لقاليب أثناء هذيانها ، وعادت تسأل وهي في دعر

« هل قلت شيئا فظيحا ؟ »

ولكن نيستا ابتسمت وهزت رأسها وقالت :

« كانت كلها أشياء جديرة بالاحترام رغم أنك قلت رأيا جارحا في حق

طبيب في مستشفى سان كريستوفر »

وأخفت كارول ارتياحها بالضحك وقالت : « في الغالب كان الدكتور

هندريكسلي المسكين فعا من أحد منا كان يحبه »

وصمتت برهة ثم قالت : « هل حدث شيء طريف أثناء غيبيتي ؟ زنتي

متأكدة أنني لا بد أن أكون قد افقدت شيئا »

وقالت نيستا : « حسنا فإليك منظر فاليب وهو أشبه بالنمر السجين . إن سيد

خواماسا البارد نزل من برجه ، وهكذا لقي جزاءه »

وتذكرت كارول جيذا مناسبة أخرى نزل فيها من قمة جبله وأظهر نزعة

انسانية ولكنها بسرعة أقصت الفكرة المثيرة عنها فمع أن المعجزة حدثت

وستبقى على قيد الحياة فالموقف بينهما وبين فاليب ما كان له أن يتغير .

وقالت بأسى : « أعتقد أنني سببت ازعاجا للجميع »

ثم تبينت في تلك اللحظة فقط معنى مقالته نيستا وأسرعت تقول :

« تقصدين أن فاليب عاد إلى الجزيرة ؟ »

وأجاب كارول :

« عاد بزرع مما كان لخلق أن يتوقع ، مضى عليك هنا ثلاثة أيام فقط »

وأضالفت نيستا :

« جاء بك فاليب إلى المستشفى عندما أغشى عليك تحت بصره »

ورمقتها كارول بنظرة دهشة ونساءلت وهي لا تذكر أنها رأته :

« هل حدث لي ذلك ؟ »

وابتسمت لها نيستا بمودة وقالت : « ألا تتذكرين ؟ لقد تصوريته طيفا

وقلت أنه في الواقع في البرتغال »

وقالت كارول بأسى : « أوه ، لا أتذكر شيئا ، أعتقد أن ذلك كان بتأثير القرص »

« هل قلت شيئا فظيحا ؟ »

وللمرة الثانية فطنت نيستا إلى ما كانت الفتاة تعنيه وهزت رأسها مطمئنة

وقالت : « مامن شيء ، رغم أنك كنت من قوة الأعصاب بحيث قلت

لفاليب أن لونه يبدو مضحكا وسألت اذا كان مريضا ، كان ذلك بعد أن

أعلته أنك مهددة بالموت في أية لحظة »

وضحك كارول قائلا : « يبدو أن فاليب الرصين اهتز حتى أعماق أعماقه »

وتساءلت كارول في دهشة واضحة : « هل كان كذلك حقا ؟ »

وابتسم لها كارول وقال لينظها :

« أي رجل كان لابد أن يهتز وبخاصة فاليب ولكن لاتفاقي لقد غفر لك

وعندي تعليمات بأن أنقلك إلى القصر بمجرد أن تستطيعي الحركة »

وقالت نيستا : « لسبب ما يريدك فاليب في القصر فإنه غالبا يعتقد أنني

لست بعد قوية قوة كافية للعناية بك »

« أنت بالفعل لست قوية بما فيه الكفاية ، يبدو أنني أفسد في الكثير من

المتاعب »

« هراء ، سأكون معك لمراقبتك أو لحراستك سمها بما شئت حتى

تستطيعي الاستسلام هذه المرة بدون قتال . لن يؤذيك ذلك خاصة بعد طيرانه

إلى العاصمة ليحضر دواءنا العجيب لك »

وفتحت كارول عينيهما على اتساعهما عندما أخبروها عن تفاصيل تلك

الليلة الرهيبة فوخزها ضميرها حينما فكرت في الثمن الذي لابد أن يكون

فاليب قد دفعه ثمنا للدواء النادر وتبدد تردها في الذهاب إلى القصر رغم

ما كانت تشهده في نفسها ذكرى مقابلتها الأخيرة مع فاليب في حدائق

دهسكاني ، من مشاعر الاضطراب وصار كل ما يريده في تلك اللحظة هو أن

توافق على طلبه مهما كان السبب المستتر وراءه . وفي الأيام التالية استقبلت

كارول زوارا عديدين ، كانت أولهم ماريانا أكواراس وأمه . ولم تكن تعرف أن

أهل الجزيرة أحبوها ، حتى ذوو الكبرياء المترفعة من الأرستقراطيين . وشخص

وسلم بعض المؤقتة ، واكتشفت أن غيابه يؤلمها أكثر مما تعتقد . فبعد ما

فعله فاليب ليلة العملية ، كان من المؤكد أن يأتي لزيارتها ، ولكن من الواضح

أنه قنع بالسؤال من بعيد عن صحتها . وعندما علمت أنه استدعى فجأة إلى

البرتغال لعمل عاجل ، اكتشفت أن بهجتها الجديدة بالحياة وهنت بعض

الشيء لعلمها بأنه لم يعد في الجزيرة قريبا منها ، وحينما سمعت أن سيلبيستينا

أيضا رجعت إلى البرتغال ، لم يبق لديها شك في الهدف ، حتى أن قلبها غاص

بين ضلوعها . ولم تكن قد فكرت بعد فيم ستفعله بعد أن يتم لها الشفاء ،

نكره مغادرة خواماسا. لقد نما حب الجزيرة في قلبها، ليس فقط لأنها كانت موطن فاليب، ولكن لأنه كان يوجد شيء ما في دفنها، وألوانها، وناسها ومرح أجوائها، يروق لها دائما أيا كانت الظروف. ولكي تملأ فراغ وقتها، قررت كارول أن تتعلم البرتغالية، كان ذلك سيصبح ضروريا بالتأكيد، إذا استقرت على البقاء في الجزيرة. وعرض عليها كارول أن يعلمها، لكنه علق وفي عينيه الزرقاوين بريق واضح أن فاليب سيغضب إذا تكلمت لغته بلكنة ألمانية شاذة. وأطلقت كارول ضحكة وسألت: «ماذا سأفعل، يا كارول، عندما غادر المستشفى؟»

«طبعاً ستذهبن إلى القصر.»

«أقصد بعد ذلك، لا أستطيع أن أبقى هناك طويلاً. لا أستطيع أن أعرف لماذا يريد مني فاليب أن أذهب إلى هناك أصلاً؟»

«ألا يمكنك حقاً؟»

ورمقها بنظرة غريبة، ثم أضاف مبتسماً: «في الغالب ليرى أنك تطيعين الأوامر ولا تجهدين نفسك.»

«إنه آخر شخص يفعل ذلك، فغالبا سأعصى أوامره كمسألة مبدأ.»

ثم قالت كارول متتبعه الموضوع الذي في ذهنها: «عرضت على ذات مرة عملاً معك هنا في المستشفى، هل مازال العرض قائماً؟ الأناسة بروتون لن تكون بحاجة الي.»

وقطب كارول جيبه بطريقة جعلتها تتساءل عما كان يفكر فيه، ثم قال: «هل تترك هذا الأمر حتى تغادري القصر؟ قد تقررين تفضيل شيء آخر.»

«أي شيء آخر يمكن أن يكون؟ انني لم سأبقى في خواماسا، أو سأعود إلى انكلترا. وإذا بقيت هنا، فلا أستطيع إلا العمل بالتمريض.»

وبسرعة حول كارول الحديث، تاركاً كارول في غموض كامل، حتى هورت أنه ي الغالب كان يعني أنها قد تفضل الاشتغال بالتمريض الخاص. وعرضت عليها مريضة برتغالية شابة في مستشفى ذات معرفة قليلة بالانكليزية، أن تساعد على تعلم البرتغالية، حتى أنها في زيارة ماريثا التالية استطاعت أن ترحب بالفتاة بهذه اللغة. وقالت لها ماريثا في زيارتها التالية:

«تقدمت بسرعة ولهجتك حلوة جداً، سيسر فاليب لذلك.»

ولم تعد كارول تعبس للحقيقة الواضحة التي كانت تؤكد أن كل شيء يقع في الجزيرة يقاس بمقياس ما إذا كان سيعجب فاليب أولاً بعد ذلك.

ظلت تضحك من نفسها لاقرارها بذلك دون غضب. ويحذر سألت: «هل مازال في البرتغال؟»

«لكنه سيعود قريباً.»

«وابنة عمك سيلستينا؟ هل ستعود هي أيضاً قريباً؟»

«كلا... أعلنت خطبتها، وستتزوج عن قريب.»

«لكنها ستعود إلى الجزيرة حينما تتزوج، أليس كذلك؟»

كان ذلك واضحاً منذ البداية، همست كارول بذلك لنفسها ولكن كان من المؤلم للغاية سماعه أخيراً بكلمات تؤكد أن خطبتهما قد أعلنت لا بد أن عيني سيلستينا الداكنتين كانتا يتسلمان الآن زهما لأنها فازت أخيراً بحب فاليب. وقالت ماريثا: «ولماذا تعود إلى خواماسا؟»

وقطع صوت ماريثا أفكارها الحزينة:

«أسأل إعتقدت أنها حينما تتزوج فاليب سيعيشان هنا»

«لكنها لن تتزوج فاليب»

وظلت كارول ساكنة بتأثير الصدمة ونظرت إليها ماريثا كما لو كان من المفروض أن تعرف طول الوقت أن شيئاً من ذلك لم يكن ليحدث وقالت متلثمة: «ولكنني إعتقدت، أقصد الجميع يتوقعون زواجهما»

«في وقت ما نعم، ولكن بسرعة أصبح واضحاً أن فاليب يرغب في الزواج من فتاة أخرى. وهو في حالة حب شديد والجزيرة كلها مسرورة لذلك، فلفترة طويلة ظل يزدي الحب»

ولم تستطع كارول أن تقاوم الابتسام كان واضحاً أن عدم وقوعه في الحب كان يعتبر خلقاً منافياً لكونه برتغالياً. ولذا كان أصدقائه وأعداؤه على حد سواء فرحين لاكتشافهم أنه بشر رغم كل شيء. وشعرت بفضول لمعرفة الفتاة المجهولة ووجدت نفسها تسأل ماريثا: «هل الفتاة التي خطبها في البرتغال؟»

«إنه لم يخطب بعد، إنها ستأتي قريباً إلى القصر»

«أوقع اذن أن أقابلها»

«هذا محتمل» سارت بهم السيارة في الطريق المزلوف من لورنزيو، ووصلت أخيراً إلى الأعمدة الطويلة المزخرفة بشعار ألفيرو ريثا التي كانت مزلوفة للغاية رغم أنها لم تمر من خلالها إلا مرة واحدة من قبل.

وظهر خادم في زي أخضر وضع البوابة كالمرة السابقة لكنه هذه المرة انحنى

وابتسم للآنسة بروتون وكارول ثم انطلقت السيارة بخفة فوق المر الممهّد الذي يؤدي الى القصر . عندما نزلت كارول من السيارة حانت منها التفاتة الى المدينة فذهلت لما رآته . وخيل اليها أن العيد يتكرر مرتين في العام أو إنها غابت عن الوعي شهورا طويلة وهاهو المهرجان يعود من جديد . لكن صوتا أليفا انتشلها من ذهولها واعاد نظرها نحو مدخل القصر . كان فاليب يقف هناك بملابسه البيضاء وعلى فمه ابتسامة تشع كالشمس . إلا أنه كان هاديء الوجه كمعادته ولا تفضي ملامحه بأي شيء مختلف فكأنها رآته منذ قليل علما بأنه لم يكن في الجزيرة أبدا ولم يأت لزيارتها في المستشفى .

ورحب بها وينيسا بأدب كبير ، ثم قادت إحدى الممرضات كارول الى غرفتها في الطابق العلوي لتستريح وصعدت السلم ودلفت الى غرفة نوم جعلتها تتسمر في مكانها وتسحب أنفاسها في نشوة بالغة . كانت الأرضية من الرخام والسرير الضخم المزخرف مرتفعا فوق قاعدة ، وبقية الأثاث فاخرة تدل على ذوق ممتاز والنوافذ الطويلة تؤدي الى شرفة صغيرة مظلة على الحدائق التي يتوسطها حمام سباحة .

واذ رجعت من جانب النافذة وجدت الممرضة البرتغالية منتظرة لتري ما اذا كانت تريد شيئا ، لكنها صرفتها وعادت الى النافذة . كان منظر الألوان الجذابة في تلك الحديقة الرائعة لا يغريها بالبقاء في غرفتها ، واستدارت وقد شعرت كأنها صبية شقية رزاء الفكرة التي طرأت ببالها فجأة . وتسللت من الباب ووجدت طريقها الى السلم بسهولة وهبطته على أطراف أصابعها شاعرة بالذنب آملة ألا يخرج فاليب من إحدى الغرف . لكن أملها خاب وفوجئت به يطالعها على السلالم وهو يهز برأسه مستاء كأنها بالفعل طفلة شقية .

« الى أين أنت ذاهبة ؟ »

كان صوتها خافتا وعيناها تبحثان في وجهه عن شيء أعمق مما يدور في خلده لكنه قال بهدوء :

« رأيتك تنظرين الى زينة المدينة بذهول ، هل أدهشك شيء معين ؟ »

« آه .. حقا .. لماذا هذه الزينة ولم يمضي على العيد مدة طويلة ؟ هل هناك عيد جديد ؟ »

كان فاليب قد وصل الى حيث وقفت واعتلى موقعها بدرجتين من دون أن

ينزع يديه من جيبي سرواله الأبيض وبدا كأنه سيستمر في الصعود الى الطابق العلوي ، لكنه توقف وماتزال الابتسامة الصافية واضحة على فمه وقال وهو يغرقها بنظرة حب عارمة كادت تجرفها من مكانها : « الزينة احتفال بخطوبتي ! » وفجأة زحف الى ذهنها ماجعل الشك يساورها اذ تذكرت شيئا قالته ماريثا وابتعدت عنه وقالت : « فاليب .. قالت ماريثا إنني سألتقي بالعروس في القصر وقالت أن الجزيرة كلها تعرف من هي »

وأطلق ضحكة ناعمة وقال : « التفتي تربتها ، إنها وراءك »

وكانت هناك امرأة كبيرة مشبة في الجدار ، فلم تصدق كارول غرابة المصادفة ، كما لم تصدق أنها يمكن أن تقع في عناق يختصر كل كلمات وكل الألم الذي عبرته من أجل الوصول الى هذه اللحظة .

والفت كلاهما ناحية صوت نيسا ورأيها واقفة على عتبة الباب وقد بدت مسرورة للغاية وقالت معتذرة :

« طرقت الباب ولكن الواضح أنكما لم تسمعاني »

وزلقت نيسا نظرة نحو الفتاة التي جاءت الى الجزيرة لثموت فوجدت فيها الحياة والحب وقالت « الجزيرة ستكون الآن أسعد حالا بعدما استقرت الأمور »

وسألت كارول بدهشة وقد صعقتها الحقيقة :

« تقصدين أن الجزيرة كانت تتكلم عني أنا ؟ »

فقالت نيسا متلعثمة :

« بعد سفره لإحضار الدواء كشف نفسه تماما ، وسعدت الجزيرة بهذا الكشف وكل ما أصبح مطلوبا الآن لإكماله هو إعلان خطبتكما »

وتراجعت نحو الباب قبل أن يستطيعا إيقافها .

وعاد فاليب الذي لم تكن لديه حصانة ضد المرح يضمها من جديد بين ذراعيه ولمست أصابعه العقد الفضي ذا الحلقات الأسطوانية ، العقد الذي كان يطلب حبا مشيرا وخطيرا ، حبا يطالب بالكثير ، ويعد بالعطاء وقال بنعومة :

« هكذا سيكون الحال بيننا ، هل تخشين الزواج من برتغالي يا حبيبتي »

« وكيف لي أن أخاف وزنا أحبك ؟ »

وكانت أجابة كارول بالبرتغالية لتؤكد له أنها فهمت ما قاله وأنها واثقة أن ما بينهما من حب سيدوم الى الأبد .